التُّرك في الشعر العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري

د. مسعد بن سويلم الشامان

الشعر هو ديوان العرب ، جمع وحوى معارفهم وعاداتهم وأيامهم . وحفظ لنا صوراً من علاقتهم بما جاورهم من الأمم والأجناس . وكان الأتراك من الأقوام التي تداخلت مع العرب بعلاقات وثيقة . وسجلت كتب التاريخ تفاصيل تلك العلاقات وأطوارها . ولكن الشعر أبقى لنا الانطباع العربي نحو الترك ، وأشار إلى صفاتهم التي رسخت في أذهان الناس عنهم ، كما سجل لنا طرفاً من أثرهم في حياة المجتمع وفي الحياة السياسية . ونريد هنا أن نتتبع بعض ملامح صورة الترك التي رسمها الشعراء العرب ، وما

سجلوه عن علاقة الترك بالعرب منذ الجاهلية وحتى بداية عصر المماليك الأتراك الذين سادوا فيما تلا من عصور .

العلاقات الأولى :

تحدثنا كتب التاريخ عن وجود علاقة بين عرب الجزيرة وبين الأتراك في بلاد آذربيجان وما وراء النهرين . وكانت نشأة تلك العلاقة نتيجة للصراع القائم آنذاك بين الفرس والترك ، والذي كان العرب يتدخلون فيه أحيانا لنجدة الفرس .

فمن دلائل نجدة العرب للفرس ضد الترك ما ورد من ذكر لقيام ملك اليمن الرائش الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بغزو بلاد الترك في آذربيجان في مائة ألف وخمسين من فرسانه بتحريض من كسرى الفرس المهزوم من الترك ، فقال الرائش في شعر نسب إليه :

أنَا الملكُ المُقَدَّم حين أمضي   جلبت الخيلَ منْ أوطانِ سام
لأغْزُو أعبُداً جهلوا مكاني   من ابنا يافثٍ وقبيل حَام (١)

والترك من أبناء يافث كما كانت تقول العرب(٢)، ونظم نشوان بن سعيد الحميري (المتوفى عام ٥٧٣هـ) هذه الوقعة فيما بعد ضمن قصيدته المشهورة حيث قال :

والتُّركُ كانتْ قد أذلَّتْ فارسا   لم يُسْتَروا من شرِّهم بوجاحِ
فشكَوا إليه ، فزارهُم بمقانبٍ   فيها صُراحٌ ينتَمِي لصُراحِ
تركوا سبايا التُّرك فيما بينهم   للبيع تُعرض في يَدِ الصيَّاح (٣)

وبعد هذا الانتصار العظيم للملك الرائش، نجد الملك اليمني الرائد، أحد ملوك التبابعة، يغزو بلاد الترك عقب استيلائهم على بابل، فيوقع بهم الهزيمة ويردهم على أعقابهم، ثم ينطلق من بلاد الترك صوب الصين فيستبيحها ويقتل ملكها (يَعْبُر)، وقد أنشد شعراً **قال فيه:**

أَنَا تُبَّعُ الأملاك من نسل حمير   مَلكنا عِبادَ اللهِ في الزمنِ الخالِي
ملكناهم قهرا وسارت جيوشنا   إلى الهند والأتراك تردى بأبطالِ
وتلك شروق الأرض منها وطأتها   إلى الصين والأتراك حالاً على حال

ونظم نشوان الحميري أيضاً هذه الحادثة **فقال:**

والرائدُ الملكُ المتوج تُبَّع   ملكٌ يروضُ الأرض كالمسَّاحِ
فَتَحَ المدائنَ في المشارق وانتحى   للصِّين في بَرِيَّة وبَرَاحِ
فأذاق يَعْبُرُ حتفَهُ فدَحَى به   في قعْر لحْدٍ للمنية داحي
والتّرك قبلَ الصين كان لهم به   يوم شتيمُ الوَجْهِ والأكلاحِ (٤)

ويصادفنا شاهد آخر على النجدات العربية لكسرى الفرس من غارات الترك في عصر ما قبل الإسلام، فهذا حسان بن حنظلة بن حيّة الطائي يحمل كسرى أبرويز على فرسه (الضُبيْب)، حين انهزم كسرى من بهرام جوبين والذي كان فيما يبدو قد استعان بالترك يوم النهروان. **فقال حسان بن حنظلة:**

تلافيتُ كسْرَى أن يُضام ولم أكُن   لأتركَهُ في الخيل يعثُر رَاجلا
بذلتُ له ظهرَ الضبيبِ وقد بدت   مسوّمةٌ منْ خيلِ تُرك وكابُلا (٥)

ولعل الشعراء الذين أقاموا في الحيرة أو كانوا يترددون عليها ، يعرفون الترك ، ويميزونهم عن بقية أجناس الأعاجم الأخرى . ويمكن اعتبار ذكر الترك في شعر عدي بن زيد العبادي (قتل في حدود عام ٦٠٠م) أقدم إشارة إليهم في الشعر العربي ، فقد قال يذكر المنون **وصروفها**:

فبتَّ أُعدي كم أسافت وغيّرت　　　وقوع المنون من مسودٍ وسائدِ
صرعن قباذاً ربَّ فارس كلّها　　　وحشّتْ بأيديها بوارِقَ آمد
و جئن بترك من قرار بلادهم　　　يسير بجمعٍ كالدّبا المتساند (٦)

فالترك من الكثرة حيث شبهوا بالجراد .

ويأتي النابغة الذبياني (المتوفى في حدود عام ٦٠٢م) بإشارة إلى الترك ، ويذكر أنهم كانوا من بين الأقوام التي تنتظر رجوع الملك الغساني النعمان بن الحارث، **فقال في رثائه** :

قُعُوداً لَهُ غسّانُ يرجُون أَوْبَهُ　　　وتُرْكٌ ورهطُ الأَعْجَمِينَ وكَابُلُ (٧)

ويذكر الأعشى (المتوفى عام ٥هـ) التّرك ، ومن نسائهم من يرقصن في مجالس الشراب ، **فقال** :

ولقد شربْتُ الخمر ترْ　　　كُضُ حوْلنَا تُرْكٌ وكَابُلْ (٨)

وبعد الإسلام ، وبعد امتداد حركة الفتوح الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية لتشمل بلاد الترك ، ازدادت صلة العرب بالترك ، ووقعت بينهم مواجهات عنيفة في القتال . وقد حفل شعر الفتوح بذكرهم وبجلدهم وصلابتهم في الحرب ، وامتدح الشعراء فرسان العرب ومقاتليهم الذين صمدوا أمام شراسة الأتراك العتاة ، فهذا ربعي بن عامر التيميّ (المتوفى بعد عام ٢٢هـ)

لما كان في جند الأحنف بن قيس الذي فتح خراسان عام ١٨هـ ، يقول في شعرٍ نُسِبَ له :

وبَلْـخ ونَيْسَـابـُور قـَدْ شَقِيـَتْ بِنـَا   وطـوس ومـــرو قـَدْ أَزَرْنـَا القَنـَابـِلا
....
فَلِلـَّهِ عَيْنـَا مـَنْ رَأَى مِثْلَنـَا مـــعاً   غـَدَاةَ أَزَرْنـَا الخَيـْلَ تـُرْكـًا وكـَابـُلا (٩)

وقال شاعر آخر شهد وقائع فتح جوزجان عنوة عام ٣٣هـ :

سَقـَى مُزْنُ السَّحـَابِ إذا استقلـَّتْ   مـَـصَارِعَ فِتْيـَةٍ بالجُــوزْجَـــانِ
....
لَقـَوا التُّرْكَ العُتـَاة بـأَرضِ خُـوطٍ   عَـــلَى خـَـيْلٍ أُعـِدَّتْ للرِّهـَـانِ (١٠)

وقال كعبُ بـن مَعْدَان الأشقري (المتوفى ٩٥هـ) وقد شهـد حروب المسلمين وفتوحهم في خراسان سنة ٩٣هـ :

هـل تـذْكـُرون ليـالِي التُّرْكِ تَقْتُلُهـُمْ   مـَـا دُونَ كـَــازَةَ والفَجْفَاجُ مُلتحِـفُ
لَمْ يـَرْكَبُوا الخَيـْلَ إلاَّ بَعْـدَمـَا كَبِرُوا   فَهـُــم ثِقَالٌ عَلى أكتـافِها عُنُفُ (١١)

ويصف نهارُ بن تـَوْسِعَة التميمـي (المتوفى بعـد عام ١١٢هــ) عنف القـائد المسلم قتيبة بن مسلم ضد الترك بقوله :

وَمـَا كـَانَ مـُذْ كُنـَّا ولاَ كـَانَ قَبْلَنـَا   ولا هـُوَ فِيمَا بَعْـدَنـَا كـابـنِ مُسـْـلِمِ
أَعـَمَّ لأهْـلِ التُّرْكِ قتـْلاً بسـَيْفِه   وأَكْثـَرَ فِينـا مَقْسِماً بَعـْدَ مقْسـِمِ (١٢)

وأشار بعض الشعراء إلى كثرة عدد جند الترك ، وهذا ما جعـل قلوب العرب تصاب بالخوف والوجل ، وذلك ما حدث في وقعة (يوم الشِّعْب) التي دارت بين المسلمين يقودهـم الجنيد وبين الترك بقيـادة خاقانهم عـام ١١٢هـ ، فقـال ابن السَّجف مخاطباً الخليفة هشام بن عبد الملك :

اذكُرْ يَتَامَى بأرْضِ التُّرْكِ ضَائِعَةً   هَزْلَى كأنَّهُمُ في الحَائِطِ الحَجَلُ
وارْحَمْ، وإلاَّ فهَبْهَا أمَّةً دَمِرَتْ   لا أنفُسٌ بَقِيَتْ فِيهَا ولا ثَقَلُ

……

لاَقَوْا كَتَائِبَ مِنْ خَاقَانَ مُعْلِمَةً   عَنْهُم يَضِيقُ فَضَاءُ السَّهْلِ والجَبَلُ
لَمَّا رأوهُمْ قليلاً لا صَرِيخَ لَهُمْ   مَدُّوا بأيْدِيهِمُ لله وابْتَهَلُوا(١٣)

ويصف الشّرعَبيُّ الطائي نفس الوقعة، وكان من شهودها، في قصيدة طويلة منها:

تَذَكَّرْتُ هِنْدًا في بِلادٍ غَرِيبَةٍ   فَيالَكَ شَوْقاً، هَلْ لِشَمْلِكَ مَجْمَعُ
تَذَكَّرْتُها والشَّاشُ بيْنِي وبينها   وشِعْبُ عِصَامٍ و المَنايَا تَطَلَّعُ
بِلادٌ بِها خَاقَانُ جَمٌّ زُحُوفُهُ   وَنَيْلاَنُ في سَبْعِينَ ألْفاً مُقَنَّعُ
إذا دَبَّ خَاقَانٌ وسَارَتْ جُنُودُهُ   أتَتْنَا المنَايَا عِنْدَ ذلِكَ شُرَّعُ(١٤)

وأكثر شعراء الفتوح الإسلامية في آسيا ذكر مواطنهم والحنين إليها، مثلما قال ثابت بن كعب الأزدي المعروف بثابت قُطنة الذي استشهد في الحرب ضد الترك عام ١١٠هـ:

دِيارُ لَيْلَى قِفَارٌ لا أَنِيسَ بها   دُونَ الحَجُونِ وأيْنَ الحجن من دارِي
بُدِّلْتُ منها وقد شَطَّ المَزَارُ بِها   وادي المَخَافة لا يَسْرِي بِهَا السَّارِي
نُقَارِعُ التُّرْكَ ما تَنْفَكُّ نائحةٌ   مِنَّا ومِنْهُم على ذي نَجْدَةٍ شَارِ(١٥)

وكانت الحرب سجالاً بين العرب والترك طوال العصر الأموي، فهذا عبيد الله ابن قيس الرقيات (المتوفى عام ٧٥هـ) يذكر خروج مصعب بن الزبير بالعراق، وكيف أن فرسانه قد أنزلوا بنات الترك سبايا من حصونهن في زرنج من بلاد الترك، فصرن يأتين طائفة بعد أخرى:

جلب الخَيْلَ مِنْ تِهامةَ حتَّى   وَرَدَتْ خَيْلُهُ قُصُورَ زَرَنْج
أنزلُوا مِنْ حُصُونِهنَّ بَنَاتِ التُّرْكِ يأْتِينَ بعد عَرْجٍ بعَرْجِ (١٦)

ويشير جرير بن عطية (المتوفى عام ١١٤هـ) إلى هذا الصراع في مدحه لعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك الذي كان قد غزا بلاد الترك:

فيَوْمٌ تَحُوطُ المُسْلِمِينَ جِيادُه   ويَوْمٌ عَطاءٌ ما تُغِبُّ نوَافِلُهُ
ولِلتُّرْكِ مِن عبد العزيز وقيعَةٌ   وللرُّومِ يومٌ ما تتمُّ حُوَامِلُهُ (١٧)

ووجد الشعراء في ثبات قومهم أمام بأس الترك مدعاة للفخر، وخاصة الشعراء من بني تميم، مثلما قال الوليد بن حُنيفة المعروف بأبي حُزابَةَ التميمي «المتوفى عام ٨٣هـ) يفتخر بعقبة بن زهير يوم منازلته الأتراك، وقد ناجزهم على كثرة عددهم فلم يجبن ولم يعجز عن الإقدام:

من كان أَحْجَمَ أو خَامَتْ حقِيقَتُه   عِنْدَ الحِفَاظِ فَلَمْ يُقْدِمْ عَلَى القُحَمِ
فَعُقْبَةُ بن زُهَيْرٍ يَوْمَ نَازلَهُ   جَمْعٌ مِنَ التُّرْكِ لَمْ يُحْجِمْ ولَمْ يَجِمِ
وهم مِثونَ أُلُوفًا وَهْوَ في نَفَرٍ   شُمِّ العَرانينِ ضَرَّابِينَ للبُهَمِ (١٨)

وللشاعر ثابت قُطْنَةَ شعر افتخر فيه بنفسه وبقومه أمام كماة الترك العتاة فقال:

فَدَتْ نفْسِي فَوَارِسَ مِن تَمِيمِ   غَدَاةَ الرَّوعِ في ضَنْكِ المُقَامِ
فلولاَ اللهُ ليسَ لَهُ شريكٌ   وضَرْبِي قُونسَ الملِكِ الهُمَام
إذًا لسعَتْ نساءُ بني دِثارِ   أَمامَ التُّرْكِ بَادِيَةَ الخِذَام (١٩)

وقال يهجو القائد الفاتح قتيبة بن مسلم الباهلي وقومه ويعيرهم بزيمة انهزموها على يد الترك:

تـوافـتْ تمِيمٌ في الطِّعان وعـــرَّدَتْ   بُهَيْلةُ لمَّا عَايَنـــتْ معْــشرًا غُلْبــا
كُماة كُفَاة يـرْهـبُ النـاسُ حدَّهــم   إذا مــا مَشـوا في الحربِ تحْسبَهُـم نُكْبا(٢٠)

وفي هذه الفترة بدأت تظهر إشارات من الشعراء لبعض صفات وعادات الترك والتي أدركها العرب بالمخالطة للترك وبمعاشرتهم. من ذلك أنهم يسكنون في قباب سود، وقد تراءت لهم عند فتح المدائن(٢١). ولما رآها مالك بن الريب (المتوفى عام ٥٧هـ) وهو في خراسان تذكر مضارب أهله في نجد، فأثارت فيه الحنين للأهل والوطن فقال:

تـذكـرُني قِبـابُ الـتُّرْكِ أهْلِي   وَمَبْدَاهـمْ إذا نـزَلـوا سَنـامـا

وشبه مسكين الدارمي (المتوفى في حدود عام ٨٩هـ) قدور قومه في كبر حجمها وسوادها بقباب الترك:

كـأنَّ قـدور قـومـي كـلّ يـوم   قِبـابُ بـالتُّركِـب ملبّسـةُ الجِلالِ
كـأنَّ المُوقِـدُونَ لـهـا جِمَـالٌ   طَـلاهـا الـزّفـتُ والقطـران طـالِ

وقد لاحظ الشعراء ضخامة جثة الرجل التركي وكثافة شعره، كما قال حميد بن ثور الهلالي (المتوفى في زمن خلافة عثمان رضي الله عنه) يصف وطباً عظيماً صنع من جلد الشاة،

وقد مليء باللبن حتى استدار، فكان أشبه ما يكون برجل تركي عظيم الجثة وقد رقد(٢٣):

فجاءتْ بـذِي أوْنَينِ أُغبِرَ شَبـاتُه   وعُمِّـرَ حتَّـى قِيلَ هَـلْ هُوَ خَـالِدُ
وغـرَّرَهُ حتـَّى استـدارَ كـأنَّهُ   على القـرو عُلفُوفٌ مـن التُّرْكِ رَاقِدُ(٢٤)

ومن أخلاقهم وطباعهم التي لمسها العرب شدة العداوة، كما عبر عن ذلك عمَلَّس بن عقيل بن عُلَّفَة المريّ (توفي في بداية القرن الثاني الهجري) بقوله:

تَبَدَّلْتُ مِنهُ بَعْـدَمَا شَابَ مَفْرِقِي عَـدَاوةَ تُـركـيٍّ وبغْـضَ أَبيس حِسْلِ (٢٥)

ومنها عدم الوفاء بالعهود ونقضها، كما في قول بنصر بن سيّار (المتوفى عام ١٣١هـ):

ولَلتُّركِ أوْفَى مِـن نِـزَارٍ بِعَهْدِهَـا فلا يأمَنَنَّ الغَدْرَ يـوماً عهيـدُهَا (٢٦)

ففي رأيه أن الترك المشهورة بالغدر ونقض العهود صارت أوفى من نزار. وأكد هذه الصفة عند الترك - وقد عُلِمَتْ من نقض الترك للمعاهدات في الحرب - قول يزيد بن الطّثريّة (المتوفى عام ١٢٧هـ) في امرأة كان يتحدث إليها ويُعجب بها:

فيَوْمًا تراهـا بالعُهـودِ وَفيـةً ويـوْمًا على ديـن ابـن خـاقَـانَ دينُهَا (٢٧)

ومن خلال الحرب أيضاً لمس العرب في الترك صفة دقة الرمي في حالة الإقبال أو الإدبار، وهذه مهارة وقدرة لا يملكها كل رامٍ. وبهذه الصفة افتخر يزيد بن الوليد بن عبد الملك، والذي كانت إحدى جدات أمه ابنة لخاقان الترك(٢٨) فقال:

فإنْ كُنْتُ أَرْمِي مُقْبِـلاً ثُمَّ مُدْبِرًا وأطْلَعُ مِـنْ طَـودٍ زليقٍ على مُهْرِ
فخاقانُ جَدي فاعرِفي ذاكَ واذكُرِي أخَابيرَهُ في السَّهلِ والجبـلِ الوعـرِ (٢٩)

وكانوا يلعبون بالكرات، وسجلها الشاعر جرير وهو يرد على الفرزدق ويهجو الزبرقان فقال:

وقَدْ دَمِيَتْ مَوَاقِعُ رُكبَتَيْهـا مِـنَ التَّبَراكِ مِـنَ الصَّـلاةِ
تبيتُ اللّيلَ تُسلـقَ إسكتاهَا كـدأبِ التُّركِ تَلْعَبُ بالكُرَاتِ

العلاقات السياسية:

وعندما انقضى عصر بني أمية وتلاه عصر بني العباس، زادت الصلات بين العرب والترك، وأصبحت العلاقات أكثر قرباً وتوثقاً. وانتهت تقريباً بالفتوحات في بلاد الترك، وجلبوا إلى بغداد، حاضرة الخلافة العباسية، ليعملوا في خدمة الأمراء والقادة وفي الجيش.

فأصبح لهم نفوذ قوي في بغداد، ونراهم يشتركون في أحداث فتنة الأمين والمأمون عام ١٩٧هـ، وقد أشار إلى دورهم فيها أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي (المتوفى عام ٢١٤هـ) في قصيدته الطويلة التي وصف فيها ما حل ببغداد من خراب ودمار، فقال:

بَلْ هَلْ رَأَيْتَ السُّيوفَ مصْلَتَةً أَشْهَرَهَا في الأسواقِ شاهِرُهَا
والخيلَ تسْتَنُّ في أزقَّتها بالتُّركِ مَسْنُونةً خَناجِرُهَا [٣١]

وكان الخليفة المعتصم بالله (تولى ما بين عام ٢١٨هـ و عام ٢٢٧هـ) ـ الذي كانت أمه تركيّة تسمى ماردة[٣٢] ـ أول من اتخذ من الترك جنداً له، ليتخلّص بهم من سيطرة العنصر العربي والفارسي على أمور الدولة. وأنشأ لهم مدينة سامراء (أو سرّ منْ رأى). واعتز المعتصم بحماية الترك، ويدل على ذلك بيتان نُسبا له:

قرِّبْ النحام واعجلْ يا غُلامْ واطرح السرج عليه واللجامْ
أعلِم الأتراكَ أنِّي خائضٌ لُجَّةَ الموتِ فَمَنْ شاءَ أقامْ [٣٣]

وعبر عن ذلك علي بن الجهم (المتوفى عام ٢٤٩هـ) في قصيدة مدح بها المعتصم حيث قال:

ورافِضَةٍ تَقُولُ بِشِعْبِ رَضْوى إمَامٌ، خابَ ذلك من إمامِ
إمامِيَ مَنْ لَهُ سَبْعُونَ ألفاً من الأتراكِ مُشْرعَةُ السِّهامِ
إذا غضِبُوا لدينِ اللهِ أرضَوْا مَضَارِبَ كلِّ هِنْدِيٍّ حُسَامِ [٣٤]

وبهذا بدأ عصر السيطرة التركية على أمور الدولة، س وبرزت أسماءُ قواد الترك من أمثال أشناس، ووصيف، وبُغا، وابن طولون، وباغِر، وتوزون وغيرهم كثير، واستطاعوا في نهاية الأمر أن يكونوا هم الحكام الفعليين للدولة الإسلامية وتغلبوا على الخلفاء وخلعوا وقتلوا من لا يعمل حسب رغباتهم وكان ما أقدم عليه المعتصم مثار سخط العرب، فقال دِعْبِل بن علي الخزاعي (المتوفى عام ٢٤٦هـ) يهجو المعتصم:

لقد ضَاعَ أمرُ الناسِ إذ سَاسَ مُلْكَهم　　(وَصِيفٌ) و أشنَاسٌ) وقد عَظُمَ الكَرْبُ
وهمُّكَ تُركيٌّ عليه مَهَانَةٌ　　فأنتَ لَهُ أُمٌّ وأنتَ لَهُ أَبُ(٣٥)

وقال صاحب الزنج علي بن محمد الذي ظهر في فرات البصرة عام ٢٥٥هـ يخاطب بني العباس، ويعاتبهم على ما قاموا به من تقديمهم الترك على العرب:

بنِي عمِّنَا إنَّا وأنتُم أنَامِلٌ　　تَضَمَنَهَا من راحتَيْهَا عُقُودُهَا
بني عمِّنا ولَّيتُم التُّرك أَمرنا　　ونحنُ قديماً أَصْلها وعمُودُها
فما بالُ عُجْمِ التُّركِ تُقَسِمُ فيْئَنَا　　ونحنُ لديها في البلَادِ شُهودُها(٣٦)

والمعتصم باتخاذه الترك حماة وسنداً له كان يظن أنهم سوف يمنعونه ويمنعون أبناءه من بعده من الفتن والنوائب، ولكنهم كانوا هم أصل الفتن والنوائب من بعد وفاته.

فطغى قواد الأتراك لما وجدوا في الخلفاء ضعفاً، واستفردوا بالحكم، وكان المتوكل على الله ابن المعتصم من زوجته التركية (شجاع) أول ضحايا الترك، فهجموا عليه مع وزيره الفتح بن خاقان وقتله باغر التركي عام ٢٤٧هـ، وفي

ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبي (المتوفى عام ٢٥٩هـ وهو يرثيه، ويعرِّض بسياسة الخلفاء العباسيين في تقديمهم للترك على العرب الأحرار الذين يملكون القدرة على حمايتهم لو بذلوا عطاياهم ونعمهم لهم:

جاءُوا عظيماً لدُنْيَا يسْعَدُونَ بِهَا   فقد شَقُوا بالذي جاءُوا وما سَعِدُوا

……

لمَّا اعتقدْتُم أُناساً لا حُلُومَ لهم   ضِعتُمْ وضَيَّعتُمُ مَنْ كانَ يُعْتقَدُ
ولو جَعلتُم على الأحرارِ نِعْمَتكُمْ   حَمَتكُم السَّادَة المذكورةُ الحُشُدُ (٣٧)

ومقال علي بن الجهم ـ الذي أيد المعتصم من قبل في هذا الأمر ـ مشيراً إلى هذا الصنف من العبيد:

فيَا لِجُنُودٍ ضيّعتْهَا مُلوكُهَا   ويَا لِمُلوكٍ أسلَمَتْهَا جنُودُهَا (٣٨)
فلا طَالَبٌ للثأرِ من بعدِ موتِهِ   ولا دافعٌ عن نفسه من يُرِيدُهَا
عبيدُ أميرِ المؤمِنِينَ قتَلْنَهُ   وأعظمُ آفاتِ المُلوكِ عبيدُهَا

نعم فلا طالب للثأر، ولا يمكن للتالي أن يدفعهم عن نفسه، فبعد مؤامرة قتل المتوكل فُتح الباب على مصراعيه للعبث التركي بمصير الخلفاء وللفتن والشغب، فعندما قتل بُغَا التركي بَاغِرَ التركي وهاجت الأتراك على المستعين بالله في عام ٢٥١هـ وخافهم وانحدر من سرَّ من رأى إلى بغداد قال أحمد بن الحارث الخرّاز (المتوفى عام ٢٥٧هـ):

لَعَمرِي لئن قَتَلُوا باغِراً   لقد هَاجَ باغرُ حرْباً طَحُونا
وفرَّ الخليفَةُ والقائِدَا   نِ باللَّيْلِ يلْتَمِسُونَ السَّفِينَا
وحلَّ بِبَغْدَادَ قَبْلَ الشُّرُوقِ   فحلَّ بِهِمْ مِنهُ ما يَكْرَهُونَا
فَلَيْتَ السَّفِينَةَ لم تأْتِنَا   وغرَّقَهَا اللهُ والراكِبِينَا (٣٩)

وبعد هذا الرعب الذي عاش فيه المستعين خلعوه عام ٢٥٢هـ، في ذلك يقول واحد من الشعراء:

خُلِعَ الخَلِيفَةُ أحمدُ بنُ مُحَمَّدٍ   وسيُقْتَلُ التالي لَهُ أو يُخْلَعُ
ويَزُولُ مُلْكُ بني أبيه ولا يُرَى   أحدٌ تَمَلَّكَ مِنْهُمُ يسْتَمْتِعُ

ثم قَتَلُوا المستعين، فقال شاعر يظن أنه البحتري:

للّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ تُرْكِيَّةٍ   رَدُّوا نوائبَ دَهْرِهِم بالسَّيْفِ
قَتَلُوا الخليفَةَ أحمدَ بن محمَّدٍ   وكَسَوْا جَمِيعَ النَاسِ ثَوبَ الخَوْفِ
وطَغَوا فأصبح مُلْكُنا مُتَقَسَّماً   وإمامُنَا فيه شَبِيهَ الضَّيْفِ(٤١)

وقال شاعر آخر:

أطَافت بِنَا الأتراكُ حولاً مُجَرَّما   ومَا بَرِحَتْ في جُحْرِهَا أُمُّ عَامِرِ
أقامتْ على ذُلٍّ ومَهَانةٍ   فَلَمَّا بَدَتْ أبْدَتْ لُؤْمَ غادِرِ
لم تَرْعَ حقَّ المسْتعِين فأصبحتْ   تُعِينُ عليه حادِثاتِ المقادِرِ(٤٢)

وتعرض المعتز بالله لمؤامرات الترك بعد أن أغدق عليهم وأمّرهم، ويشير البحتري إلى مؤامرة بُغَا الصغير للوثوب على المعتز وطمعه في الحكم، وذلك بقوله:

طَلَبَ العِمامَةَ والقَضيبَ وأيْنَ لم   تَبْلُغْ حَماقَةُ ذَلِكَ الحَجّام؟
أتُراهُ وُهِّمَ أنَّهُ أهْلٌ لَهَا   سَفَهًا تَعَدِّي هذه الأوْهامِ
قَدْ رَامَ تَرِيقَ المَوالِي بعدما   جُمِعُوا عَلَى مليكٍ أغَرَّ هُمامِ
مُتَعَزِّزٍ باللهِ، أصبح نِعْمةً   لله سابغةً على الإسلامِ
....
مَا غَرَّكُمْ منهُ وقدْ جَرَّبْتُمُ   سَطواته في سالِفِ الأعْوَامِ

إلى أن يقول في قصائه على بُغَا :

فَاليَوْمَ عَاوَدَتِ الخلافَةُ عِزَّها   وأضاءَ وجْهُ المُلكِ بعد ظَلَامِ
أضْحَى بُغَاءُ وأقْرَبُوهُ وحِزْبُهُ   وكأَنَّهُمْ حُلمٌ مِنَ الأحلامِ
طَاحُوا فما بَكَتِ العُيُونُ عَلَيْهِمِ   بِدُمُوعِهَا، ومَضَوا بغَيْرِ سَلَامِ

ولكن المعتز بالله لم يسلم منهم وكان مصيره مثل مصير والده المتوكل ، فقد خلع ثم قتل وفي ذلك قال بعض الشعراء :

عَيْنِ لا تَنْجَلي بسفحِ الدُّموعِ   واندبي خيرَ فاجعٍ مفْجُوعِ
……………………   ……………………
بَكَرَ التُّرْكُ ناقمينَ عَلَيْهِ   خالِعِيهِ، أفديه من مخْلُوعِ
……………………   ……………………
أضْبَحَ التُّرْكُ مالكي الأمر والعَا   لَمُ ما بين سامِعٍ ومُطِيعِ
وترى الله فيهم مالك الأمر   سيخزيهم بقتلٍ ذريعِ (٤٤)

وقال شاعر آخر يتوعدهم وينذرهم جزاء ما اقترفوا في حق المعتز:

أَيُّهَا التُّرْك سوف تلقون للدهر   سُيُوفاً لا تَسْتَبِلّ الجَرِيحا
فاستعدوا للسَّيْفِ عاقبة الأمر   فقد جِئْتُم فِعَالاً قَبِيحا (٤٥)

وكان هذا حصاد سياسة المعتصم ، ولخص هذا الأمر الشاعر الأندلسي لسان الدين بن الخطيب (المتوفى عام ٧٧٦هـ) بعد عدة قرون في وصفه للمعتصم في البيت التالي :

وهو الذي تألَّفَ الأتْرَاكا   فنَصَبُوا لِقَوْمِهِ الأشْرَاكا (٤٦)

وكان أبو الطيب المتنبي (المتوفى عام ٣٥٤هـ) مدركاً لحقيقة هؤلاء القوم، فقال وهو يعزي سيف الدولة الحمداني عن عبده التركي يماك وينبهه إلى كفاية العرب لكل أمر فهم خير من الترك:

إنَّ الذي أمْسَتْ نِزَارٌ عَبِيدَهُ   غَنيٌّ عن استعبادهِ لغريبِ (٤٧)

ورسم لنا صورة لبلاد الإسلام التي طاف بها من العراق والشام ومصر وفارس، فوجد العرب تحكمهم الترك الذين لا يملكون مقومات الحكم من الأدب والحسب والوفاء بالعهد، فقال:

وإنَّما النَّاسُ بالمُلُوكِ وَمَا   تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمُ
لا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ ولا حَسَبٌ   ولا عُهُودٌ لَهُمْ ولا ذِمَمُ
بِكُلِّ أرْضٍ وطِئْتُهَا أُمَمٌ   تُرْعَى بعَبْدٍ كأنَّهَا غَنَمُ (٤٨)

وقال أبو طايب المأموني (المتوفى عام ٣٨٣هـ) في مدح أحد الوزراء ببخارى:

سألْتُ اللهَ مبْتَهِلاً مُنَاكَا   فأَضْعَفَ ما سألْتَ وقالَ: هاكَا
وردَّ على يَدَيْكَ المُلْكَ لمَّا   غَدَا بالتُّرْكِ يُنْتَهَكُ انتهاكَا (٤٩)

وعندما أسس الملك الصالح نجم الدين أيوب جيشه من المماليك الأتراك واستكثر منهم في منتصف القرن السابع الهجري قال شاعر يتألم لذلك:

الصَّالح المُرْتَضَى أيُّوبُ أكْثَرَ مِنْ   تُرْكٍ بدَوْلَتِهِ يا شرَّ مَجْلُوبِ
قدْ آخَذَ اللهُ أيُّوبًا بفَعْلَتِهِ   فالنَّاسُ كُلُّهُمْ في ضُرِّ أيُّوبِ (٥٠)

وبالرغم من ذلك، فإن القادة الأتراك كانوا سنداً للخلفاء طالما اتفقت المصالح، فأظهروا الولاء والنصح والنصرة. فلو تصفحنا ديوان الشاعر البحتري (المتوفى عام ٢٨٤هـ) - الذي كان شاهداً على أحداث عصره، وحضر وقعة قتل

المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ــ نجد صورة أخرى للترك أو (الموالي كما كان يسميهم)، فهم حماة الخليفة ويده في البطش بخصوص وهم ناصحوه والأمناء على العهد. ومما يستغرب له أن البحتري لم يذكرهم ولم يوضح دورهم في مقتل المتوكل. وهذا جزء من الصورة التي رسمها البحتري للترك، فيقول في مدح الفتح ابن خاقان وهو تركي الأصل:

غَـدَا وهــو طَودٌ للخـلافةِ ماثـلٌ   وحَدُّ حُسَام للخليفـة مِقْـضَبِ
إنِ العَرَبُ انقـادَتْ إليـكَ قُلوبُهَا   فقد جِئْتَ إحساناً إلى كُلِّ معْرِبَ
شَكرتُكَ عن قَوْمِي وقومِـكَ، إنَّني   لِسانُهُما فـي كـلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبِ (٥١)

وقال أيضاً يمدحه:

أَمِينُ بنِـي العَبَّاس في سرِّ أمْـرِهِـمْ   وعُدَّتُـهُـمْ للخَـالِـعِ المُتَمَنِّـعِ
فَما هُوَ بالسَّهـلِ الشَّكِيـمَةِ دُونَهمْ   ولا فِيهِـم بـالمُـذهِنِ المُتَصَنِّـعِ (٥٢)

وقال:

يَصُونُ بَنُــو العبـَّاسِ سَطْوَةَ بأسِهِ   لشغـبِ عِدًى يَعْتَادُ أو حَادِثٍ يَعْـرُو
يَبِيتُ لَهُم حـبْـبُ الأمانَـةُ والتُّقَى   ويَغْدُو لهـم حبْـبُ الكِفَايةُ والنَّصرُ (٥٣)

وقال في نصرتهم للمعتز وفي الإشادة بفضل الموالي الثلاثة بُغَا وسِيمَا الشرابي وشيخهم (وَصِيف):

أمـا المَوَالـي فجنـدُ الله حَمَّلهُـمْ   أنْ يَنصُرُوكَ فقَـدْ قامـوا بما احتَمَلُوا
بَقَاؤهمْ عِصْمَةُ الدنـيـا، وعِزُّهُـمْ   سِتْرٌ على بَيْضَةِ الإسلام مُنْسَدِلُ
……………………   ……………………

قدْ جَاهِدُوا عنكَ بالأموالِ وافِرَةً   وبالنُّفوسِ ونارُ الحَرْبِ تشتعِلُ
يُواتِرون تِبَاعَ الكَرِّ إنْ رَكِبُوا   ويَصدقونَ دِراكَ الطَّعنِ إنْ نَزلُوا

....

ما مِثْلُ شيْخِهِم حَزْمًا وَتَجْرِبَةً   ولاَ كَبأسِ فتَاهُمْ حينَ يَعْتَمِلُ
ثلاثةٌ جِلَّةٌ إن شُوروا نَصَحُوا   أو استُعِينوا كَفَوْا أو سُلِّطوا عَدَلُوا
فاسْلَمْ لَهُمْ ما دَعَتْ صُبحًا مُطوَّقَةٌ   وَلْيَسْلَموا لكَ ما حنَّتْ ضُحَى إبِلُ (٥٤)

وفي القواد الأتراك الثلاثة أيضاً يقول البحتري :

أُولَئكَ آراءُ الموالي نُصْرَةً   بسُيُوفِهِمْ والمُلْكُ جِدُّ مُمَزَّقِ
مِنْ ناصرٍ بِحُسَامِهِ، ومُخَذِّلٍ   عَنْكَ العَدُوَّ برأيِهِ المُسْتوثِقِ
كلٌّ رِضًى، وأرَى ثلاثَتَهُم كَفَوَّ   قَسْرَ المُمانِعِ وافتتاحَ المُغْلَقِ
لَهُمْ احتياطُ المعتني ومَقَاوِمَ الكافي ورَفْرَفَةُ ا النَّصيحِ المُشفِقِ (٥٥)

بل نجده يمدح القائد صالح بن وصيف الذي كانت له يد في قتل المعتز و إهانة أمه قبيحة، فقال :

نَصِيحُ أميرِ المؤمنينَ وسِيفُهُ   وما مُضْمِرٌ غِشا كآخرَ ناصِحِ
تُؤيّدُ رُكْنَيْهِ الموالي ويَعْتَزِي   إلى مَذْهَبٍ عند الخليفة واضح (٥٦)

وأشار إلى مساندة الأتراك للخليفة المهتدي بالله بقوله :

كَتَائِبُ نصرُ اللهِ أمضَى سِلاَحِهَا   وعَاجِلُ تَقْوَى الله أكْبَرُ زَادِهَا
عليهن من شُوسِ الموالي فَوَارِسٌ   عِدادُ حَصَى البطحاءِ دُونَ عِدَادِها (٥٧)

وقال يمدح القائد التركي اسحاق بن كُنداجيق الذي قلده المعتمد السيفين وتوجه عام ٢٦٩هـ:

وأُرُومَةٍ في المُلْكِ خَاقَانيَةٍ   تَعْتَمُّ أفناناً وتكرُمُ عُنْصرا (٥٨)

وقال فيه أيضاً:

قَادَ آباؤهُ الجيادَ مُلُوكاً   قَبْلَ قَوْدِ الجِيادِ من ذي رُعَيْنِ (٥٩)

وإذا تركنا البحتري الذي أسرف في مديح الأتراك، نجد شعراء آخرين مدحوا القواد الأتراك، يدفعهم إلى ذلك ما يرونه من حمايتهم للخلافة الإسلامية، كما فعل الشاعر والأمير العربي ابن حيُّوس (المتوفى عام ٤٧٣هـ) بمدحه القائد التركي أنوشتكين الدزبري والي دمشق فقال:

فلْتَعْلُ أرضُ التركِ أنّ تُرابَها   مَا حازَ أصلاً فَرْعُهُ لا يُنْجِبُ (٦٠)

وقال في مدحه أيضاً:

ما لعِرْقِ الأتْرَاكِ لا اجتثّهُ   الدَّهرُ ولا مَالَ دَوحُهُ لانقصافِ
فأراهُم قوادِمًا في جَنَاحِ   العزِّ والناسُ دُونهمْ كالخَوافي
مَعْشَرٌ يُنْسَبُ الفَخارُ إليهِمْ   فتكَاتٌ لِكلِّ ضَيْمٍ نوَافِ (٦١)

وقال الشاعر الأرَّجاني (المتوفى عام ٥٤٤هـ) يمدح الخليفة المستظهر بالله (ما بين عامي ٤٦٧ ـ ٤٨٧) و يشير إلى نصرة الجيوش التركية له:

والليلُ كالرايةِ السَّوداءِ قدَّمها   للصُّبحِ خيلٌ ترى مُبْيَضَّةَ الغُرَرِ
يَحْكِي لواءَ بني العبَّاسِ يَوْمَ وغى   إذا بدَا، وجيوشُ التُّرْكِ في الأثر

لا حائدٌ عَنْهُمَا يَنْجُو على بُعُدٍ   أن يُدْرِكَاهُ، ولا يأوي إلى وَزَرِ
هُمَا اللَّذانِ إذا مَالاَ عَلَى أُمَمٍ   لم يُبْقِ مَرُّهما شيئاً ولم يَذَرِ(٦٢)

وكثر الثناء على الأتراك وقيادتهم للجيوش في زمن الحروب الصليبية، ودفاعهم عن حوزة الإسلام، فهذا ابن الخياط (المتوفى عام ٥١٧هـ) يمدح الأمير مجد الدين عضب الدولة أبق أمير دمشق ويحضه على الجهاد ضد الصليبيين و يذكره بما قدمه السلطان السلجوقي ألْب أرسلان، فقال:

فإن ألْب رَسْلانَ في مِثْلِها   مَضَى وهو أمضَى من السَّيفِ حَدًّا
فأصْبَحَ أبقَى من الفرْقَدَيْـ   ـنِ ذِكْرًا وأسْنَى من الشمسِ مَجْدًا
ولَعَلَّكُم أنْ تُعِيدُوا مِنَ الـ   ـمَآثر والمجدِ مَا كَانَ أبْدَا
وهذا ابنهُ قَائمًا فيكُمُ   مقام المُفاخِرِ جدًّا وجدًّا

إلى أن يقول:

بَقِيتُمْ ولا زِلْتُمْ في اللقاءِ   بُدُوراً تُوافِقُ في الأفقِ سَعْدَا
ولا بَرِحَ العِزُّ للمُسْلِـ   ـمِينَ من بَحْرِكُمْ أبداً مُسْتَمَداً
فَلَسْنَا نَرَى بعد طُول البقَا   ءِ أكْرَمَ مِنكُمْ على اللهِ وَفْدَا
وقَدْ قِيلَ في التُّرْكِ إنَّ الذي   يُبَارِكهُم أسْعَدُ الناسِ جَدًّا(٦٣)

وقال ابن سناء الملك (المتوفى عام ٦٠٨هـ) يمدح صلاح الدين الأيوبي ودولته التي جمعت شمل المسلمين وصموده في وجه الصليبيين:

بدولة التُّرْكِ عزّت ملّةُ العرَبِ   وبابن أيُّوبَ ذَلّت شِيعَةُ الصُّلُبِ(٦٤)

وقال شهاب الدين محمود (المتوفى عام ٧٢٥هـ) في انتصار السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون على الصليبيين في معركة عكا سنة ٦٩٢هـ:

الحمد لله زَالَتْ دَولةُ الصُّلُبِ   وعَزَّ بالتُّرْكِ دِينُ المُصْطَفَى العرَبِي

وفي زمن الغزو المغولي أيضاً تصدى سلاطين المماليك لهم واستطاعوا أن يدحروهم ويكسروا شوكتهم، وأن ينقذوا ديار المسلمين من شرهم، ولهذا كثر مدح هؤلاء المماليك الأتراك لما قاموا به من حماية للإسلام، ففي انتصار السلطان قلاوون على التتار سنة ٦٨٠هـ في حمصث يقول الشاعر محمد بن سراج المنبجي البزاز (المتوفى عام ٧٢٣هـ):

وغَزَوتِ تُرْكَهم بتُرْكٍ مثْلها   فتَقَطَّعَتْ ما بينها الأرحامُ (٦٦)

وقال عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة (المتوفى عام ٦٦٥هـ) في انتصار سيف الدين قطز المملوكي على التتار في موقعة عين جالوت عام٦٥٨هـ:

غَلَبَ التتارُ عل البِلادِ، فَجاءهم   من مِصْرَ تُرْكِيٌّ يَجُودُ بِنَفْسِهِ
بالشَّامِ أهْلَكَهُمْ، وبَدَّدَ شَملَهُمْ   ولكُلِّ شيءٍ آفة مِنْ جِنْسِهِ (٦٧)

الشعوبية:

لما أطَلّت الشعوبية بوجهها القبيح في العصر العباسي واستفحل أمرها لم نجد للترك دوراً فيها. ولم نجد لهم شاعراً يذود عنهم ويمجدهم، فهم ليسوا طرفاً في القضية التي دارت بين العرب والفرس. إلا أنّه قد ترد أحياناً إشارات إلى وجود شيء من افتخار الترك بأنفسهم بشكل خفي، كما في تلك المفاخرة التي جرت في مجلس القُتبي صاحب بيت حكمة المأمون ورواها على بن زُريق (المتوفى عام ٤٢٠هـ)، وقد جرت بين عربي وفارسي وتركي ورومي، فافتخر المنتمي للترك بقوله:

التُّركُ لَمْ يُمْلكوا في دَارِ مُلْكِهِم   والفُرْسُ قد مُلِكوا والرُّومُ والعَرَبُ
هذا لَعَمرُكَ فَضل ليس يَجْحَدُهُ   إلاّ حسودٌ عَنِيدٌ ما له أدب (٦٨)

وقال شاعر من العجم هو أبو عبد الله البنداري الديلمي (من شعراء القرن الخامس الهجري)، يرد على من عاب عليه أن أخواله من الترك:

أخْوَالِيَ التُّرك لا أبْغِي بهم بدلاً   ولَيْس رَأيُ الرِّضَى مِنِّي بمَغْبُونِ (٦٨)

وقال شاعر آخر هو أبو الحسين الطَوْلَقي (من أهل القرن الخامس الهجري) يدافع عن الأتراك:

ألا يا عائبَ الأتْرَاكِ مَهْلاً   فَلَيْسَ إلى مَعائبِهِم سُلُوكُ

....

فحرُّهُمُ على الأحرَار مَلْكٌ   وعَبْدُهُم لِمَالِكِهِ مَلُوكُ

كفى الأتْرَاكَ أنَّ الناس طرًّا   رعاياهم وأنَّهُم مُلُوكُ (٧٠)

ولا نكاد نعثر على أمثلة أخرى لافتخار الترك بأنفسهم وأمجادهم كما فعل الفرس، بل نجد أن الترك اختاروا الانحياز إلى الجانب العربي، والتقرب إلى أصحاب الخلافة وافتخروا بأنهم موالي العرب (٧١). وفي سبيل التقرب من العرب زعموا أنهم من نسل رجل من مَذْحِج كان قد هبط إلى بلاد الترك فأنسل نسلاً كثيراً (٧٢). وقابل الشعراء العرب هذا الادعاء بالاستهجان والعجب، فقال شاعر يستنكر ادعاءات غير العرب في قصيدة منها:

متَى شَاءَ مِنكُم مُفْرَج كان جدُّهُ   عُمَارةَ عَبْسٍ خيرَ تلكَ العَمائِرِ

فَقَدْصِرْتُ لاَ أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ نَاسِيًا   لَعَلَّ نِجارًا مِنْ هِلَالِ بْنِ عَامِرِ

وعَلَّ رِجَالَ التُّرْكِ من آلِ مَذْحجٍ   وَ عَلَّ تَمِيمًا عُصْبَةٌ مِنْ يُحَابِرِ (٧٣)

وفي روايةلله أوردها الجاحظ يقول:

زعمتم بأنَّ التُّركَ أبْنَاءُ مَذْحِجٍ   وبيْنكُمُ قُرْبَى وبيْنَ البَرابِرِ

وردَّ شاعر آخر على زعم الأتراك أنهم من مذحج بقوله :

مَتَى كـانـت الأتـراك أبناء مـذحِجٍ   ألاَ إنَّ في الدُنْيَـا عَجِيبـًا لِمَنْ عَجِبْ (٧٥)

وكانت العرب تعلم أن الترك من أبناء يـافث بن نوح (٧٦) ، كما ورد في شعر الملك الرائش الـذي مر ذكره في أول المقـال، وفي قول الأبيـوردي (المتوفى عـام ٥٠٧هـ) :

عليها كماةُ التُّركِ من فـرعِ يـافثٍ   كَـثـيـر بمُسْـتَنِّ المَنَايَا نُزُولُهَا (٧٧)

وقول الزمخشري (المتوفى عام ٥٣٨هـ) :

ويَـارُبَّ يَـوْمٍ أُهْـدِيَتْ لِي وَصِيفَةٌ   مـن اليَافِثِيَّـاتِ المِـلاحِ لَعُـوبُ (٧٨)

الصراع العسكري:

كان العصر الأموي عصر الفتوح في بلاد الترك، وفي العصر العباسي توقفت تقريباً هذه الفتوح، وأصبحت معظم بلاد الترك تحت ظل الخلافة العباسية، ولهذا لا نكاد نعثر على شعر يـذكرالقتـال ضد الترك إلاَّ النـزر اليسير كما في قول مسلم بن الوليد صريع الغواني (المتوفى عام ٢٠٨هـ) يمدح المأمون :

وَرَدَتْ على (خـاقـان) خَيْلُكَ بعْدَما   كـره الطِّـعانَ وقـد أطَلْنَ عِرَاكا
حتَّى وردنَ وراء (شاشَ) بمـنزلٍ   تَرَكَـتْ بِـهِ نفَـلاً لَـهُ الأتْرَاكـا (٧٩)

إلا أن هناك صفحة أخرى من الصراع العسكري قد فتحت بين العرب والترك في داخل بلاد الإسلام، وتمثلت هـذه في الفتن والخروج على الخليفة والثورات في كل عصر. كما تمثلت في هجوم التتار أو المغول وهم جنس من الترك لم يدخلوا الإسلام. فمن مظاهر الصراع الـداخلي قول السّرى الـرَّفَّاء (المتوفى بعد عـام ٣٦٠هـ) في مدح سيف الدولة الحمداني :

فَقَدْ تَارَكَتْهُ التُّرْكُ لَمَّا تَأَمَّلَتْ   سُطَاهُ ولَو لاقَتْهُ لاقَتْ مُبِيرَهَا
أزارَهُم أُسْدَ العَرِينِ خَوَادِرًا   تُرَدِّدُ في غَابِ الرِّمَاحِ زَئِيرَهَا (٨٠)

وقال عبدان الأصفهانِي المعروف بالخوزِي (من القرن الرابع الهجرِي) يصف فتنة الترك :

تَرَكْنَا لِخَوفِ الخَيْلِ والتُّرْكِ دُورَنَا   فللَّهِ صرف الدهرِ كيفَ تَرَدَّدا
دَهَالِيزُنَا ضَاقَتْ لِخَوْفِ نُزُولِهم   كَأنَّا يَهودٌ ندخلُ البابَ سُجَّدا (٨١)

والشاعر ابن حيُّوس (المتوفى عام ٤٧٣هـ) الذِي طالما تغنى بمدح قواد الترك تذكر عروبته فِي غمرة ذلك الصراع ، فقال يمدح أحد أمراء العرب وهو مسلم ابن قريش العقيلِي صاحب الموصل لما استولى على حلب :

فِي يَوْمِ قَارٍ رَايَةٌ لَكَ فَهَّمَتْ   مِنْ قَادَةِ الأَتْرَاكِ مَنْ لَمْ يَفْهَمِ

....

فِي عُصْبَةٍ كَعْبِيَّةٍ تَرَكُوا القَنَا   مُتَعَوِّضِين بكلِّ أبيض مِخْذَمِ

....

مِنْ مُرْهَفَاتٍ لَمْ تَزَلْ أيمانكم   أنصعارَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أيْوَمَ
ما عايَنَتْها التُّرْكُ تعحَكُمُ فِي الطُّلَى   حتَّى طائشَاتِ الأسهُمِ (٨٢)

وقال يمدح أحد أمراء المرداسيين من بنِي كلاب بحلب :

وكانت التُّرْكُ بالأعرابِ جاهِلَةً   حتى أَنْحَتَ لَهَا أنْ تَعْرِفَ العَرَبَا
لاقَوْهُم بِرِمَاحٍ طَالَمَا انحَطَمَتْ   واستَخْلَفَتْ فِي العِدَى الهِنْدِيَّةَ القُضُبا

وللشاعر الحسين بن جعفر الضرير البندنيجِي الهمذانِي (من أهل القرن الخامس الهجرِي) مدح فِي سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد ويذكر فيها

فعله يوم آمد في الوقعة بين مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل وفخر الدولة بن جهير يقول فيها :

كيَوْمِ عَقِيْلٍ والرِّمَاحُ شَوَاجِر   وبِيضُ الظُبَى يُرْدِي الكُماةَ ضِرَابُها
غَدَاةَ غَدَتْ للتُّرْكِ في الحَيِّ وَقْعَةٌ   أباحَتْ حِمَى دارِ عزيزٍ جَنَابُها
فأُقسِمُ لولا نَخْوةٌ مَزْيَدِيَّةٌ   لبَاتَتْ على حُكْمِ السِّباءِ كِعَابُها
ولكن سيفَ الدولة ابنَ بَهائِها   حَمَى عِرْضَها والترك تحرُقُ نابُها(٨٤)

وقال في مدح ألْب قَرَا البكجي أمير التركمان :

وأختاركَ الله للأعرابِ مثل عَصَا   موسى ليقْلِقَهُمْ ضَرْباً على الهادِي
لما عبرت إلى غَرْبِيِّ دِجْلَةَ في   جَيْشٍ من التُّرْكِ سَيْرًا غيرَ إرْوادِ(٨٥)

ولكن أعظم الخطوب التي حلت بالبلاد الإسلامية كان الغزو المغولي، وسجل الشعر العربي ما حل بديار المسلمين من خراب ودمار على يد الجيش التتري(٨٦). ونشير هنا باختصار إلى ظلم ووحشية هذا الصنف من الترك، ومقاومة العربي له: فقال علي بن المقرب العيوني (المتوفى عام ٦٢٩هـ) يمدح صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ الذي تجهز لقتال التتار والصليبيين :

فقاد إلى الإفْرِنْجِ جَيْشًا زُهَاؤُهُ   عَدِيدُ الحَصَا ذا أزْمَلٍ وَزَمَازِمِ
وَجَيْشًا يُوارِي الشَّمسَ رَيْعَانُ نَقْعِهِ   إلَى التُّرْكِ إذْ جَاءُوا لِهَتْكِ المَحَارِمِ
إذَا التَتَرُ الباغُونَ ذَاقُو لِقَاءَهُ   تَمَنَّوْا بأنْ كانُوا دَمًا في المَشَائِمِ
سَتَبْقَى بِهِ الإفْرِنْجُ والتُّرْكُ ما بَقَتْ   كأنَّ حَشَايَاهَا ظُهُورُ الشَّبَاهِمِ(٨٧)

وعندما استعد الخليفة العباسي المستعصم بالله للقاء التتار الذين توجهوا صوب بغداد مدحه الناصر بن المعظم (المتوفى عام ٦٥٥هـ) بقوله :

لَقِيتَ مُلُوكَ التُّرْكِ إذْ جاءَ جَمْعُهَا   تُجالِدُ دِينَ الله بالكِبْرِ والكُفْرِ

وقد نهب هؤلاء الترك الجدد القرى وتركوها أثراً بعد عين، فقال يحيى بن يوسف الصرصري الذي استشهد عند دخول التتار إلى بغداد عام ٦٥٦هـ:

مَحَقَتْ طُغَـاةُ التُّرْكِ أطْرافَ القُرَى   فالمَـال نَـهْبٌ والـمَـنازِلُ بَلْقَعُ (٨٩)

وسبوا نساء المسلمين وهتكوا المحارم، كما قال تقي الدين إسماعيل بن إبراهيم التنوخي (المتوفى عام ٦٧٢هـ) وهو يبكي بغداد وما حل بها على يد التتر الأتراك:

وكَـمْ حرِيـمٍ سَبَتْـهُ التُّرْكُ غَـاصِبةً   وكَـانَ مِنْ دُونِ ذَاكَ السِّتْرِ أسْتَارُ (٩٠)

صفات الترك:

لقد اتسعت مجالات الاختلاط بالترك في العصر العباسي بصورة أوسع مما كانت عليه في العصر الأموي، فكان ذلك أدعى لأن تزداد معرفة العرب بأخلاق الترك وطباعهم وصفاتهم. فمن أبرز ما اتصفوا به الشجاعة والشراسة في القتال، ودقة الرمي، والمهارة في نصب الأوهاق وكل ما يتصل بالحرب والجندية. ففي نصب الأوهاق يُشبّه علي بن الجهم ملاحي السفينة وهم في وضع الانحناء ليشدوا حبالها التي التفت حول أوساطهم بالأسرى الذين وقعوا في وهق للترك ويحاولون الهرب وقد ألتفت حولهم الأناشيط، **فقال:**

وجمع ابن الرومي (المتوفى عام ٢٨٣هـ) كل صفات الترك الحربية في قصيدة له مليئة بالصور الحية: فهم الأسود وُجُوهاً ولكنهم أدهى، لهم سهام هي (بنات المنايا) لا تخطىء من صوبت نحوه، متعطشون للدم، يسددون الضربات في حالة الإقبال والإدبار، أشداء في النزال والطعان وفي الكرّ، لهم شهامة الليث، والغنيمة في ترك ملاقاتهم، وشهد لهم عدوهم قبل صديقهم. ولنقرأ الآن هذه

القصيدة الرائعة لابن الرومي والتي حشد فيها صوراً بلاغية شتى :

ولكنَّهم أذهَى دَهاءً وأنكَرُ   ترَى شبهَ الآسادِ فِيهم مبيَّناً
وأَلحاظُهُم ألحاظُها حين تَنْظرُ   وُجُوهُهُم عِنْدَ اللقاء وُجُوهُها
لَهُمْ منظرٌ مِنها مَهِيبٌ ومَخْبَرُ   هُم هي، لولا إزبُهم وحُلُومُهُم
بناتُ المَنايا والجِيُّ المُدَثَّرُ   لهم عُدَّةٌ تكْفِيهمُ كُلَ عدةٍ
بتسمِيةِ القرآنِ فيما يُفَسِّرُ   هِي القوةُ الحَقّ المُسَمَّاة قوة
خِفَافاً مع الآجال تَغْلُو وتَقْصُرُ   يُزِلُون عن أكْبادِ كل حَنيَّةٍ
مواقعُها فيما يَشاءُون يُقدَرُ   نواها نَواهم في الرَّمايا كأنَّما
يَكادُ لُعابُ الموتِ مِنهُنَّ يَقْطرُ   لها ألْسنٌ ما تستَفِيقُ لَهاتُها
لها مَوْرِدٌ من غير مأتاه تَصْدُرُ   ظِماءٌ إلى وَرْدِ الدماءِ نَوَاهِلٌ
حقيقته لم يجْزَ منه المذمَّرُ   يولِي المُوليَّ منهم وهو مانعٌ
يليكَ بحدٍّ مِثْله حينَ يُدْبِرُ   يَليكَ بِحدٍّ شانِكٍ وهو مُقْبِلٌ
تَلقَّاكَ مِنْها جانِب يتسعَّرُ   هو النارُ من أيِ النَواحي غشيتها أَو
رهقْتَ حِمَامَ الموتِ أو يتأخَّرُ   الرمح ذُو النَّصْلَيْنِ كيفَ رَهِقْتَهُ
يُدَمِّرُ فيها سادِرًا ما يُدَمَّرُ   تكونُ له إجفالَةٌ ثم كرَّة
تكون له إجلاءة ثم يَعْكُرُ   كذلك تلقى الليث فضل شهامة تراكُهُمُ ما
شهيدِي رسول الله والحقّ يَبْهَرُ   تارِكُوكَ غنيمةٌ
وهل نشاهم جاهلٌ أو مغمَّرُ   فإنْ كُنْتَ مِنْهُم جاهِلاً أو مُغَمَّرًا
تُخَبِّرَكَ أن لم يبقَ منهم مُخبِّرُ(٩٢   فسائل بهم أعداءَهُم أو دَبارَهُ

وابن الرومي أيضاً شبَّه تأثير عيون النساء الجميلة على الرجال، بالنبال التي لا تصمد لها كتائب الترك العظيمة التي يقودها الخاقان، فقال :

ومن عَجائِبِ ما يُمْنَى الرِّجالُ بِهِ   مُستضْعِفاتٌ لَهُ منهُنَّ أقْرانُ
مُناضِلاتٌ بِنَبْلٍ لا تَقُومُ لَهُ   كَتائبُ التُّرْكِ يُزْجيهنَّ خاقانُ (٩٣)

وسهام الترك، ونبال الترك يضرب بها المثل (٩٤)، فهي (بنات المنايا) كما قال ابن الرومي، وشبه بها أبو العلاء المعري (المتوفى عام ٤٤٩هـ) انطلاق الخيل في

سرعة فائقة فقال:

فَوُجِدْنَ أمْضَى مِنْ سِهَامِ التُّرْكِ بَلْ   أمْضَى وأنْفَذَ مِنْ حِرَابِ الدَّيْلَمِ(٩٥)

ولا تصمد أمامها رماح العرب على شهرتها، كما في قول الأبيوردي (المتوفى عام ٥٠٧هـ):

ومَنْ أيْنَ يَسْتَوْلِي من العُرْبِ رَامِحٌ   عَلَى بَلَدٍ فِيهِ مِنَ التُّرْكِ نَابِلُ(٩٦)

وفيهم قال الشاعر التركي الأصل علم الدين أيْدَمر المحيوي (المتوفى بعد منتصف القرن السابع الهجري) حين أشاد بجيش الملك الصالح نجم الدين أيوب، والذي كان كله من الترك المماليك، وخاض به الحرب ضد **الصليبيين**:

مِنَ الكُماةِ التي تُطْوَى ضُلُوعُهُمُ   عَلَى العزِيمة والإقْدَام، لا الفَشَلِ
مِنْ كُلِّ أمْضَى مِنَ الهندِيِّ في يَدِه   عَزْمًا وأنفذَ إقْدَامًا مِنَ الأسَلِ
لَيْثٌ مِنَ القومِ، مَا (خَفَّانَ) موطِنُهُ   رَامٍ مِنَ التركِ لا يُعْزَى إلى (ثُعَلِ)
يَكُونُ أثبَتَ يَوْمَ الروعِ من جَبَلٍ   رَاسٍ وأجْوَلَ في الصَّفَّيْنِ مِنْ مَثَلِ
هم عبيدُكَ من قومِي، ومن جَمَعَتْ   دعوى ولائكَ تحْتَ الحَادِثِ الجلَلِ
بَعُدْتُ عَنْهُمْ، فلم أشْهَدْ مَشَاهِدَهُمْ   فجِئْتُ بالقولِ، إذْ جاءُوكَ بالعملِ(٩٧)

وعن شجاعتهم تحدث كثير من الشعراء، فقال ابن حيوس:

والتُّرْكُ بَعْضُ النَّاسِ إلاَّ أنَّهم   أقْوَى وأصْلَبُ في الكريهَةِ مَكْسِرَا(٩٨)

والترك هو بنو الحرب ولا طاقة لأحد بحربهم، وهم ملازمون لظهور خيولهم، كما وصفهم جبرائيل بن ناصر المثنى السُّلمي (المتوفى عام ٧٣هـ) بقوله:

ومَنْ يُطِيقُ التُّرْكَ في الحربِ إنَّهم   بَنُوهَا وكلُّ النَّاسِ زُورٌ وبَاطِلُ
حُمَاةٌ كُمَاةٌ كالضَّرَاغِمِ، خَيْلُهم   مَعَاقِلُهُمْ، والخيلُ نِعْمَ المَعَاقِلُ(٩٩)

وقال شاعر آخر (من أهل القرن الخامس الهجري) يصف معركة للترك ضد الروم:

وجاء كالريح يَسْفِي الرَّمْلَ عاصِفُهَا   فاجْتاحَ جيشاً يُوازِي النَّمْلَ فِي العَدَدِ
أتْرَاكُهُ بسيوف الهندِ ما تركَتْ   للرومِ إذْ رَامَهَا رأساً على جَسَدِ(١٠٠)

وامتدح شهاب الدين محمود (المتوفى عام ٧٢٥هـ) بسالة جيوش الترك في صد الصليبيين، فقال:

جَيْشٌ من التُّرْكِ تَرْكُ الحَرْبِ عندهم   عَارٌ، وراحَتُهُم ضَرْبٌ مِنَ الوَصَبِ
……
تسَنَّمُوها، فَلَمْ يَتْرُكْ ثَبَاتُهُمْ   في ذَلِكَ الأفقِ بُرْجاً غيرَ مُنْقَلِبِ(١٠١)

وقال أيضاً فيهم:

لُيُوثٌ مِنَ الأتراكِ آجامُهَا القَنَا   لَهَا كلَّ يوْمٍ ذُرَى ظَفَرٍ ظُفْرُ
فلا الرِّيحُ تَسْرِي بَيحنَهُم لاشتباكِهَا   عَلَيْهِم ولا يَنْهَلُّ مِنْ فوقِهِم قَطْرُ
يُرَى المَوْتُ مَعْقُوداً بِهُدْبِ نِبَالِهِم   إذا مَا رَمَاهَا القوْسُ والنَّظَرُ الشَّزْرُ(١٠٢)

وقال في شجاعتهم الأبيوردي:

عَلَيْهَا كُمَاةُ التُّرْكِ مِنْ فَرْعِ يَافِثٍ   كَثِيرٌ بمُسْتَنِّ المَنَايَا نُزُولُهَا
هُمُ الأُسْدُ بأسًا في اللقاءِ وأوجُهاً   إذَا غَضِبُوا والسَّمْهَرِيَّةُ غِيلُهَا(١٠٣)

وإلى جانب الشجاعة الحربية والبأس في القتال، حاز الترك صفة الحسن والجمال، فقال في ذلك إبراهيم بن عثمان الكلبي الغزي (المتوفى عام ٥٢٤هـ):

فِي فِتْيَةٍ مِنْ مُلوكِ التُّرْكِ ما تركَتْ   للرَّعدِ كَرَّاتُهُمْ صَوتًا ولا صيتَا
قومٌ إذاَ قوبِلُوا كانوا ملائكَةً   حُسْناً وإن قُوتِلُوا كانوا عفاريتَا(١٠٤)

وأشار ابن سِبْط التعاوذي (المتوفى عام ٥٨٣هـ) إلى شجاعتهم وحسنهم بقوله:

وأُسُودٍ مِنْ غِلْمَةِ التُّرْكِ لا تأْ   لَفُ إلاَّ غِيلَ القَنَا المشْجُورِ
يُنْحِلُونَ البُدُورَ حُسْناً وإنْ خا   ضُوا وَغَى ونَاحَلُوا القَنَا بالخُصُورِ

مـن لُيُـوثِ الشَّرى إذَا دَارَتِ الحَرْبُ   وفـــي السِّلْـمِ مِـنْ ظِبـاءِ الخُدُور(١٠٥)

وقال ابن النبيه المصري (المتوفى عام ٦١٩هـ) في ذات المعنى :

إيـَّاكَ والأتـْـرَاكِ إنَّ لِبَعـْـضِهِــم   أشْخَـاصَ غـُزْلانٍ وفِعْـلَ أُسُـودِ(١٠٦)

وقال فتيان الشاغوري (المتوفى عام ٦١٥هـ) أيضًا :

كـأنَّ كُماةَ التُّرْكِ عِنــــدَ نِزَالِهِــــم   مَلاَئكَـةٌ بـالشُّهـبِ تـَرْمِي الأبَاليسَا(١٠٧)

ومن صفاتهم الجسدية بياض البشرة التي تشبه ضياء الصبح كما قال ابن هانىء الأندلسي المتوفى عام ٣٦٢هـ) وهو يصف ضياء الفجر فجعله كأنّه خاقان الترك وجعل الليل كأنّه النجاشي :

كـأنّ عَمُودَ الفَجـْرِ خَاقَـانُ عَسْــكَرٍ   مِنَ التركِ نـَادَى بالنَّجـاشيّ فاستخفى(١٠٨)

وشبه أبو العلاء المعري بياض الترك بجبال طيىء، وشبه السودان بحجارة الحرّة فقال :

أتتْنا مِنَ الأتـْـرَاكِ أعْـــلامُ طيىِّءٍ   تَقُودُ مِــــنَ السُّودانِ حـرَّةَ رَاجِل(١٠٩)

وكانوا يعتادون إطالة شواربهم، فقد شبه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (المتوفى عام ٣٥٦هـ) الهرَّ في طول شاربه برجل تركي، فقال يذكر تخليص الهرّ له من همّ الفئران :

زال هـمــِّـي مِنـْـهُنَّ أزْرَقُ تـرُكـــيٌّ السَّبالَيْنِ أنْمَـرُ الجِلْبَـاب(١١٠)

ومن طباعهم وخالهم غير الحميدة عدم الوفاء، وهي صفة سبق أن عرفت في العصر الأموي، ولها صدى في العصر العباسي، فقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (المتوفى ٤٦٦هـ) :

إن كـانـتِ التُّرْكُ فِيهِــم غَيْرَ وَافِيـةٍ   فَما تَزيـدُ عَلَى غــدْرِ الأعـارِيبِ(١١١)

ووصف ابن حيّوس أحد ممدوحيه بأنه يشبه الترك في الإقدام، أما في الوفاء فهو من العرب:

وَيُشْبِهُ التُّرْكَ إقداماً ومَحْمِيَةً   فإنْ دَعَاهُ وَفَاءٌ عَاوَدَ العَرَبَا(١١٢)

ومن خصالهم غير الحميدة النهب والسرقة، كما وصفهم بذلك إبراهيم الكلبي الغزي بقوله:

مدَّتْ إلى النَّهبِ أَيْدِيهُمْ وأعيُنُهم   فَزَادَهُم قَلَقُ الأحْدَاقِ تَثْبِيتَا
بِدَارِ قَارُونَ لو مَرُّوا على عَجَلِ   لَبَاتَ في فَاقَةٍ لا يَملكُ القُوتَا(١١٣)

ومن هنا فقد تميزوا بخصال حميدة وأخرى غير حميدة، فوصفهم البلخي (من شعراء القرن الخامس الهجري) بأنهم هم مُرُّ الزمان وهم حلاَةُ:

عَلَيْكَ التُّرْكَ مِنْ هذا الأنَام   فَهُمْ زَيْنُ المَحَاضِرِ والمَوامِي
وهُمْ مُرُّ الزمان وهم حلاَةٌ   وقد حُمِدَ المرارةُ في المُدَامِ
بأوساطِ الفَلاءِ لَهُم بُيُوتٌ   تُحَصِّنُهَا بأطْرافِ السِّهَامِ(١١٤)

وإلى جانب بيوتهم التي تقام بأوساط الفلاة كانت لهم ملاعب يلعبون بها، جاء ذكرها في بيت للشاعر أحمد الحضرمي (من شعراء القرن الرابع الهجري) حيث يقول في وصف الفرس:

شَنِجِ النَّسَا زَجِلٍ كأنَّ سَرَاتَهُ   زُحْلُوقُ لعْبٍ أو سَرَاةُ مَدَاكِ
ينقضُّ كالنَّجمِ انبرَى للرَّجم أو   كالسَّهم طَاحَ بمَلْعَبِ الأتراك(١١٥)

وفي وقت الغضب والثورة يتكلمون بألفاظ غير مفهومة، فقال في ذلك أبو بكر بن أحمد ابن حمدان المعروف بالخباز البلدي (من أهل القرن الرابع الهجري) وهو يصف الساقية أو دولابس الماء:

نُجُومُ مَاءٍ يُدِيرُهَا فَلَكٌ   يَكْثُرُ مِنْهُ تَعَجُّبُ العَجَبِ
مُزَمْزِمٌ ما يبينُ مَنطِقُهُ   كقائدِ التُّرْكِ غدوةَ الشَّغَبِ(١١٦)

ولقد وجد الشعراء إعراضاً وانصرافاً من الترك عن الشعر، فلم يقرّبوا الشعراء من مجالسهم كما كان يفعل حكام العرب، ولهذا قال المهذب بن أسعد المعروف بابن الدهان الموصلي (المتوفى عام ٥٨١ هـ):

أأمْدَحُ التُّرْكَ أبْغِي الفَضْـلَ عِنْـدَهم   والشّعْـرُ مـــا زالَ عِنْدَ التُّرْكِ مَتْروكا⁽¹¹⁷⁾

وعرض بهم أبو الطيب المتنبي في قصيدته التـي عزى فيها سيف الـدولة عن مملوكه التركي (يماك)

فقال:

لأبْقَى يَماكٌ فِي حَشَايَ صَبابَـــةً   إلى كُـــلِّ تُرْكـــي النّجَـارِ جَلِيـــبِ
ومـــا كـلُّ وجْـهٍ أبيـــضٍ بمبارك   ولا كـــلُّ جَفْـنٍ ضَيـقٍ بنجِيـــبِ⁽¹¹⁸⁾

وقال ابن النبيه المصري (المتوفى عام ٦١٩ هـ) في الشكوى منهم:

صِنفٌ مِـنَ التُّرْكِ والخُدَّامِ قَـدْ بَلَغَـا   بـأقْبَحِ الفِعْلِ فِينـــا غَـايةَ الأمَـل⁽¹¹⁹⁾

التغزل بنساء الترك وغلمانهم:

لما كثر الأتـراك ببغداد كانـت نساؤهم يعملن في بيـوت كبار القوم مـربيات وخـادمات، وبعضهـن كن جـاريـات؛ ولقد وصـل بعض هـؤلاء الجواري إلى قصور الخلفاء وأصبحن أمهات لبعضهم مثـل المعتصم والمتوكل. ونتيجة لكثرة نساء الترك بـدأ الشعراء يطـرون جمالهن ويذكـرون محاسنهن. إلا أن هـذا كان في عصر متأخـر نسبياً. وأصبحنـا نسمع عـن انصراف بعض الشعـراء عن الجمال العربي وعن ليلى وسُعـدى إلى الجمال التركي الوافد. فمن ذلك قـول أبي القاسم محمـود الـزمخشري «المتوفى عـام ٥٣٨هـ» الـذي يدعـو إلى الالتفـات إلى جمال التركيات:

أَلاَ قُلْ لسُعْدَى مَا لَنَا فيكِ منْ وَطَر   وما تُطَبِينَا النُّجْلُ مِنْ أَعْيُنِ البَقَرْ
فإنّ العيونَ الضَّيقات وأَهْلَها   بهم عَلِقَتْ مِناً الضَّمائرُ والفِكَرْ
إذا نَظَروا لَمْ تُبْدِ إلاَّ احورارَها   وإنْ ضَحكوُا ضَمُّوا الجُفُونَ عَلَى الحَوَرْ
وإنّ وجُوه التُّرْكِ واللهُ جَارُهَا   بُدُورٌ إلى أَثمانِها تُصْرَفُ البِدَرْ
وفِي صُوَرِ التُّرْكِ العجائب فلْتكُن   عُيونُكم صُورٌ إلى هذه الصُّوَرْ (١٢٠)

وقال أيضاً :

فإنَّا اقْتَصَرْنَا بالذين تَضايقَتْ   عُيونهم والله يَجْزِي مَنْ اقتَصَرْ
مَلِيحٌ ولكِنْ عِنْدَهُ جَفْوَةٌ   ولَمْ أَرَ في الدُّنْيا صَفَاء بِلاَ كَدَر (١٢١)

فأصبح العيون الضيقة مقياساً للجمال بدلاً من عيون المها الواسعة التي طالما تغني بها العرب. وهذا شاعر آخر يترك البوادي وأهلها إلى الحضر والترك، فيقول ابن الدهان الموصلي «المتوفى عام ٥٨١هـ» :

قَالوا تَرَكْتَ البَوَادِي قُلْتُ : حُبُّهُم   مُحَرَّمٌ حَظَرَتْهُ التُّرْك والحَضَرُ
ما مَنْزِلُ الحيِّ مِنْ قَلْبِي بِمَنْزِلَةٍ   ولا لآثارِ ظَعْنٍ عِنْدَه أَثَرُ (١٢٢)

وعلى نفس المنوال يقول علاء الدين بن ملك الجويني (المتوفى عام ٦٨١هـ) متغزلاً بفتاة تركية :

أَبَادِيَةَ الأَعْرَابِ عَنِّي فإنَّنِي   بِحاضِرةِ الأَتْرَاكِ نيطتْ عَلائِقِي
وأَهْلَكِ يا نُجْلَ العُيونِ فإنني   بليت بهذَا النَاظِرِ المُتَضَايِقِ (١٢٣)

وقال أحمد بن محمد بن أبي الوفاء المعروف بابن الحلاوى «المتوفى ٦٥٦هـ» في نفس المعنى معلنا تركه للغزل العربي :

مِنَ التُّرْكِ لا يُصْبِيهِ وَجْدٌ إلى الحِمَى   ولا ذِكْرُ بَانَاتِ الغُوَيرِ تَشُوقُهُ
ولا حَلَّ في حيٍّ تَلوحُ قِبابُهُ   ولا سَارَ في رَكْبٍ يُساقُ وُسُوقُهُ
ولا بَاتَ صَبًا بالفَرِيقِ وأَهْلِهِ   ولكن إلى خَاقَانَ يُعْزَى فَرِيقُهُ (١٢٤)

ومن سار على هذا النحو فتيان الشاغوري (المتوفى عام ٦١٥هـ) حيث **يقول**:

دَعْنِي مِنَ الرَّشَأ النَّجْدِي فالرشَأ   التُّرْكِي أُوقعْتُ في أشْراكِ حِبِّيه(١٢٥)

وكانت عيون التركيات الضيقة محور الإعجاب فأفاضوا في ذكرها، فقال منصور بن محمد الأزدي الهروي (المتوفى عام ٤٤٠هـ) يصف تركية ذات شعر كالليل ووجه كالإصباح وعيون ضيقة بقوله:

خِشْفٌ مِنَ التُّرْكِ مِثْلُ البَدْرِ طَلْعَتُهُ   يَجُوزُ ضِدَّين مِنْ لَيْلٍ وإصباحِ
كأنَّ عَيْنَيْهِ والتَّفْتِيرُ كُحْلُهُمَا   آثارُ ظُفْرٍ بَدَتْ في صحْنِ تُفَّاح(١٢٦)

وقال الزمخشري:

أعاجم أشْباهُ الوحُوشِ أوابدٌ   إذا جَرَحُوا كانتْ جِراحُهم هَدَرْ
بنَفْسِي قوي لَحْظُهُ وهو فاترٌ   كذا اللَّحْظُ ما أقوى يكونُ إذا فتَرْ
تَضَايقَتِ العَيْنَانِ منهُ وإنَّهُ   يُوسّعُ في القَلْبِ الجِرَاحَ إذا نظَرْ
ويَقْتُلُ بالجَفْنِ الضَّعِيفِ ولَمْ أزَلْ   أعُوذُ بِرَبِّي مِنْ ضَعِيفٍ إذَا قَدَر(١٢٧)

ويقول ابن سناء الملك (المتوفى عام ٦٠٨ هـ) الذي يشبه عيون الترك بسيوف الهند:

حَذَارِ سيوف الهند من أعْينِ التُّرْكِ   فَمَا شُهِرَتْ إلا لِتَأْذَنَ بالفَتْكِ(١٢٨)

وقال الشاعر ابن عُنين (المتوفى عام ٦٣٠ هـ) محذراً من التعلق بهوى التركيات:

لاتَعْرِضَنَّ لِضيِّقِ المُقَلِ   فَتَبِيتَ مِنْ أَمْنٍ عَلَى وَجَلِ
واتْرُكْ ظِبَاءَ الترك سَانحَةً   لا تَعْتَرِض لِحَبَائل الأجلِ
بيضاءُ تَنْظُرُ مِنْ مُضَيَّقَةٍ   سَوداءَ تَهزأُ مِنْ بَنِي ثُعَلِ
وبلِيَّتِي مِنْ ضِيقِ مُقْلَتِها   إنْ خِيفَ فَتْكُ الأعيُنِ النُّجُل(١٢٨)

وما زالت العيون الضيقة موضع إعجاب الشعراء في أواخر العصر العباسي، كما في قول مجد الدين ابن الظهير الأربلي «المتوفى عام ٦٧٧هـ):

مِنَ التُّرْكِ، لا عَانيهـم يَبْلُغُ المُنَى   ولا هـو مَمْنُـونٌ عَلَيهِ فَيُعْتَقُ
عُيونُهُم المَرْضَى ومَرْضَى عهودهم   تُؤكِّدُ أسبابَ الهَوى وتُوثِقُ
أكُفُّهُم تَرْمِي ولا دَمٌ طائحٌ   وألْحَاظُهُم تُصْمِي القَلوب وتَرْشُق(١٣٠)

وقال فتيان الشاغوري «المتوفى عام ٦١٥هـ) في عيون الترك:

عُيونُ التُّرك أنْفَذُ في الوَغَى مِنْ   سِهَامِهِم إذا ارتفَعَ القَتَامُ(١٣١)

وقال جوبان القواس (المتوفى عام ٦٨٠هـ):

حَمَانا التُّرْكُ وانتَهَكوا حِمَانا   ولَن يَفِيَّ التَّواصل بالصُّدُودِ
حَمَوْنا بالصَّوارِمِ والعَوالي   وجَارُوا باللَّواحِظِ وبالقُدُود(١٣٢)

وقال ابن النبيه المصري «المتوفى عام ٦١٩هـ) في حمرة الخد وتقوس الحاجب:

مِنَ التُّرْكِ في خدَّيْهِ للحُسْنِ جَنَّةٌ   بِمَالِكِهاَ مَحْروسةٌ لا برضوانِ
رَماني بسَهْمِ اللَّحظِ عَنْ قَوْسِ حَاجِبٍ   فَهَلْ حَاجِبٌ من بين عَيْنَيْهِ أصْماني(١٣٣)

وبدأت في العصر العباسي عادة سيئة لم تكن تعرفها العرب من قبل، ألا وهي عادة التغزل بالمذكر والغلمان المرد(١٣٤). وقد جلب الفرس هذه المفسدة معهم إلى بلاد العرب. ومع تكاثر أعداد غلمان الترك الذين تميزوا بالحسن واللين والخلاعة، ومع كثرة استخدامهم في البيوت انتشرت هذه العادة حتى بين كبار القوم، ولم يترفع الشعراء عن الانغماس في التشبيب بالغلمان. وسوف نشير هنا على سبيل الاختصار إلى بعض النماذج من الشعر الذي قيل في غلمان الترك.

فقد قال أبو البركات علي بن الحسين العلوي (من شعراء القرن الرابع):

يا عُصْبَةُ الأتْرَاكِ أولادُكُم   من يُوسُفِ الحُسْنِ وبَلْقِيسِ
ألحَاظُكُم تُحْيي وتُردي الورَى   وحُسْنُكُم فِتْنَةُ إبليسِ(١٣٥)

وقال أبو الحسن محمد بن عبد الله المخزومي السلامي (المتوفى عام ٣٩٣هـ) يشبب بغلام تركي:

عُلِّقْتُ مفتَرِسَ الضَّراغِمِ فارِسًا   رَحبَ المَدَى والصَّدْرِ والمَيْدَانِ
قَمَرٌ مِنَ الأتْرَاكِ تَشْهَدُ أنَّهُ   الخَوْدُ الحصَانُ عَلَى أقبَّ حِصَانِ
البَدْرُ في ظِلِّ الغَمامةِ والنَّقَا   في سَرْجِهِ والغُصْنُ في الخفتَانِ
ألفت طُرَّته وغُرَّته ومَا   كَان الدُّجى والصُّبح بيأتَلِفَانِ
وَرَمَى بِلَحْظَيْهِ القُلوبَ وسَهْمِهِ   فَعَجِبْتُ كيفَ تَشَابَهَ السَّهمانِ(١٣٦)

وشَبَّبَ شَاعِر آخر هو أبو علي الحسن بن محمد الضبيعي (من القرن الرابع) بغلام تركي فقال:

أضَيْغَمٌ أمْ غَزَالٌ ذَاكَ أمْ بَشَرٌ   شَمْسٌ تَزَيَّتْ بِزِيِّ التُّرْكِ أمْ قَمَرُ
لَقَدْ تَحَيَّرَ وصْفِي في حقيقتهِ   كَما تَحَيَّرَ في أجْفَانِهِ الحَوَرُ(١٣٧)

وقال أحد شعراء القرن الرابع الهجري أيضا في غلام تركي:

لا سُمرةٌ ، لا بياضٌ فيه، لا سِمَنٌ   لاهُزَالٌ، ولا طُولٌ ولا قِصَرُ
ذُو قَامَةٍ قَام فيها عُذْرُ عَاشِقِها   وصورةٌ قَبُحَتْ مَعَ حُسْنِهَا الصُّوَر(١٣٨)

وقال أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالمتيم الأفريقي (من شعراء القرن الرابع):

قَلْبِي أسيرٌ في يَدَيْ مُقْلَةٍ   تُرْكِيَّةٍ ضَاقَ لَهَا صَدْرِي
كَنَّهَا مِنْ ضِيقِهَا عُرْوَةٌ   لَيسَ لَهَا زرٌ سِوَى السِّحْرِ

و أنشد أيضاً:

قَدْ أكثَرَ الناسُ في الصِّفاتِ ، وقَدْ   قالو اجميعاً في الأعنُبِنِ النُّجُلِ
وعَيْنُ مَولاَيَ مِثْلُ مَوعِدِهِ   ضَيِّقَةٌ عَنْ مَرَاوِدِ الكُحُلِ[١٣٩]

ولابن الخيّاط (المتوفى عام ٥١٧هـ) أبيات تغزل فيها بغلام تركي منها :

سَلُو سَيْفَ أَلْحَاظِهِ المُمْتَشَقْ   أَعِندَ القُلُوبِ دَمٌ للحَدَقْ
تَجَلَّى لَنَا صَارِمُ المُقْلَتَيْنِ   بن مَاضِي المُوَشَّحِ والمُنتَطَقْ
مِنَ التُّرْكِ مَا سَهمُهُ لو رَمَى   بأقْتَلَ مِنْ لَحْظِهِ إذ رَمَقْ[١٤٠]

وقال المهذب بن أسعد الدهان الموصلي (المتوفى عام ٥٨١) شعراً في نفس الغرض منه :

وغَزَالٌ لَهُ الأُسودُ الضَّوَارِي فَرَايسٌ
بَدْرُ تِمٍّ عَلاَ على غُصُنٍ وهو مائس
هُوَ في الأمنِ جَنَّةٌ وهو في الرَّوع فارسُ
من بَنِي التُّرْكِ أَدَّبَتْهُ ورَبَّته فارسُ
وعَلَى وَرْدِ خدِّه مِنْ شَبَا اللَّحْظِ حارس[١٤١]

وكما مر في الأمثلة السابقة فقد أعجب الشعراء بالألحاظ الفتّاكة والتي تشبه سهام الترك ، وأيضاً كما في قول ابن عُنين (المتوفى عام ٦٣٠هـ) :

مِنَ التُّرْكِ مَيَّاسُ القَوام مُهَفْهَفٌ   لَهُ الدُّرُ ثَغْرٌ والزُّمُرُّدُ شَارِبُ
يُفَوِّقُ سَهْمًا مِنْ كَحِيلٍ مُضَيَّقٍ   له الهُدْبُ رِيشٌ والقِسيُّ الحَوَاجِبُ[١٤٢]

ومما قاله ابن النبيه المصري ، الذي أكثر من هذا اللون من الغزل في شعره :

جَدَّ وَجْدِي بِحُبِّ لاهٍ وأوْدَى   بفُؤادِي بِذكاره وهو نَاسِ
من بني التّرك ليِّنُ العطفِ قَاسِي القَلْبِ   سَهْلُ الخِدَاعِ صَعْبُ المِرَاسِ

ضَيِّقُ العَيْنِ وهو من صِفَةِ البُخْلِ فإنْ جَادَ كانَ ضِدَّ القياسِ
فهو تحت السِّلاح لَيْثُ عَرِينٍ   وهو فوقَ الفِرَاشِ ظَبْيٌ كِناس (١٤٣)

ونظم محمد بن يوسف التلعفري (المتوفى عام ٦٧٥هـ) في غلام تركي هذين البيتين:

كَلِفْتُ بأَحْوَى مِن بَنِي التُّرْكِ أحْوَرٍ   لَه غُصْنُ قَدٍّ بالذَوائبِ مُورِقُ
رَشِيقُ التَّثَنِي والمَعاطِفِ ألْعَسُ الـ   ـمَرَاشِفِ يُصْمِي طَرْفُهُ حِين يَرْمُقُ (١٤٤)

وأسرف الشاعر فتيان الشاغوري في التغزل بالمرد من أبناء الأتراك فقال:

بَنُو التُّرك لو مرَّتْ بأبنَاءِ عُذْرَةٍ   لَمَا كَان فِيها بالكَواعِبِ مُغْرَمُ؟
ولا نَسَبُوا إلاَّ بكُلِّ مُذَكَّرٍ   بِهِ يُمْدَحُ الطَّرْفُ العتيقُ المُطَهَّمُ
ولا ذَكَرُو لَيْلَى ولا أمَّ جُنْدُبٍ   ولا تيَمَّنَهُمْ أمُّ عَمرو وكَلْثَمُ (١٤٥)

وقال أيضاً:

وتُرْكيٍّ كأنْ بفِيه رَاحاً   لَهَا مِنْ مِسْكِ نَكْهَتِهِ خِتامُ
سَبَاني وهو مَمْلُوكٌ رقيقٌ   وكَمْ حُرٍّ تَمَلَّكَهُ غُلامُ
تناسَى صُحْبَتِي وذِمَامَ عَهْدِي   وعنْدَ التُّرْكِ لا يُرْعَى ذِمَامُ
بضَيِّقِ جُفُونِهِ وسَّعْتُ عُذْرِي   فزَالَ العُذْرُ عَنِّي والمَلاَمُ (١٤٦)

وبعد أن استعرضنا جانباً من الشعر العربي الذي قيل في الترك، نصل إلى أن العلاقة بين العرب والترك قديمة، بدأت في عصر ما قبل الإسلام ثم توطدت وتنوعت بعد الفتح العربي الإسلامي لبلاد أواسط آسيا، وبعد استجلاب الترك إلى بلاد العرب. ثم استطاع الترك أن يبسطوا نفوذهم على الحكام بعد أن تقلدوا مناصب الجيش. وكانوا عونا للحكام

وحماة لبيضة الإسلام من الغزو الصليبي والمغولي. وفي خلال تلك العصور تعرف العرب على طباع وأخلاق الترك وعاداتهم. وقد تسببوا في نشر أنواع من الفساد الأخلاقي، وكان غلمانهم موضع فتنة للشعراء الذين أبدعوا في التغزل بهم. وكل هذا سجله وحفظه لنا الشعر العربي.

● ● ●

الهوامش والتعليقات

١) نشوان بن سعيد الحميري - ملوك حمير وأقيال اليمن، قصيدة نشوان بن سعيد الحميري وشرحها المسمى «خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار ملوك التبابعة - حققها وعلق عليها السيد علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي - (القاهرة ١٣٧٨هـ)، ص ٦٥ - ٦٧ - وانظر أيضا: محمد بن جرير الطبري - تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - (دار المعارف، القاهرة ١٩٦٠م) مج ١، ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - كتاب المعارف - تحقيق د. ثروت عكاشة - (القاهرة ١٩٦٩م) ص ٢٦.

٣) الحميري - ملوك حمير، ص ٦١. المقانب: جماعات الخيل تجتمع للغارة.

٤) الحميري - ملوك حمير - ص ١١٣ - ١١٤، وانظر الطبري - تاريخ الرسل والملوك - مج ١ ص ٥٦٦ - ٥٦٧.

٥) ابن السائب الكلبي - أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها - تحقيق أحمد زكي - (القاهرة ١٩٤٦م) ص ٩٥.

٦) عدي بن زيد العبادي - ديوان عدي بن زيد العبادي - حققه وجمعه محمد جبار المعيبد - (بغداد ١٩٦٥م) ص ١٢٤.

٧) النابغة الذبياني - ديوان النابغة الذبياني - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - (القاهرة ١٩٧٧م)، ص ١٢٢ .

٨) ميمون بن قيس - ديوان الأعشى الكبير - تحقيق د. محمد محمد حسين - (القاهرة ١٩٥٠م)، ص ٣٤٧ . «وتركض هنا معناها : ترقص»

٩) ياقوت الحموي - معجم البلدان - (بيروت ١٩٥٦م) ، مج ٢ ، ص ٣٥٢ ، «مادة : خراسان» .

١٠) محمد بن عمر الواقدي - فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان - (مصر ١٣٠٩هـ)، ص ١٣٦ . ونسبت الأبيات إلى كثير النهشلي في معجم البلدان لياقوت، مج ٢ ، ص ١٨٢ ، «مادة: جوزجان» .

١١) الطبري - تاريخ الرسل والملوك - مج ٦ ، ص ٤٧١ .

١٢) المصدر السابق ، مج ٦ ، ص ٤٧٩ .

١٣) المصدر نفسه، مج ٧، ص ٨١

١٤) المصدر نفسه، مج ٧، ص ٨٥ . «نيْلان: اسم قائد تركي» .

١٥) المصدر نفسه، مج ٧، ص ٥٦ .

١٦) عبيد الله بن قيس الرقيات - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم - (بيروت ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م) ص ١٨١ .

١٧) جرير بن عطية - ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب - تحقيق د. نعمان محمد أمين طه - (القاهرة ١٩٧١م) - مج ٢ ، ص ٧٠٢ .

١٨) أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي - شرح ديوان الحماسة - نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون - (القاهرة ١٩٥٢م)، ص ٦٨٧ - ٦٨٨ .

١٩) الطبري - تاريخ الرسل والملوك - مج ٦ ، ص ٦١١ .

٢٠) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني - الأغاني - تحقيق أحمد زكي صفوت - نشر دار الكتب المصرية - (القاهرة ١٩٥٨م)، مج ١٤ ، ص ٢٧٤ . «بُهيلة: تصغير باهلة قوم قتيبة بن مسلم. غُلْب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة. نُكْب: جمع نكْباء وهي كل ريح من الرياح الأربع، انحرفت ووقعت بين ريحين وهي تهلك المال وتحبس القطر.»

٢١) الطبري - تاريخ الرسل والملوك - مج ٤ ، ص ١٧ . «يقول الطبري : قال : دخلنا المدائن فأتينا على قباب تركية مملوءة سلالاً مختمة بالرصاص» .

٢٢) ياقوت الحموي - معجم البلدان - مج ٣ ، ص ٢٦٠ ، مادة : سنام .

٢٣) المرزوقي - شرح ديوان الحماسة - ص ١٧٠٦ - ١٧٠٧ .

٢٤) حميد بن ثور الهلالي - ديوان حميد بن ثور الهلالي - نشر عبد العزيز الميمني - (القاهرة ١٩٥١م) - ص ٦٨ .

٢٥) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - مناقب الترك ، ضمن رسائل الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - (القاهرة ١٩٦٤م) ، ص ٧٦ .

٢٦) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - أساس البلاغة - (بيروت ١٩٦٥م) ، ص ٤٤١ «مادة : عهد»

٢٧) محمد بن سلام الجمحي - طبقات فحول الشعراء - شرح محمود محمد شاكر - (القاهرة ١٩٥٢م) ص ٥٨٩ .

٢٨) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن الأثير - الكامل في التاريخ - (بيروت ١٩٦٥م) - مج ٥ ، ص ٣١٠ .

٢٩) الجاحظ - مناقب الترك - ص ٨٣ .

٣٠) جرير - ديوان جرير - ص ٨٢٩ .

٣١) الطبري - تاريخ الرسل والملوك - مج ٨ ، ص ٤٥٢ .

٣٢) علي بن الحسين المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محيي الدين عبد الحميد - (القاهرة ١٩٦٤) مج ٤ ، ص ٤٦ .

٣٣) أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني - معجم الشعراء - تحقيق عبد الستار أحمد فراج - (القاهرة ١٩٦٠م) ص ٣٦٤ .

٣٤) علي بن الجهم - ديوان علي بن الجهم - تحقيق خليل مردم بك - (دمشق ، ١٩٤٩م) ، ص ١٢ .

٣٥) دعبل بن علي الخزاعي - ديوان دعبل بن علي الخزاعي - صنعة د. عبد الكريم الأشقر - (دمشق ١٩٦٤م) ، ص ٥٢ - ٥٣ .

٣٦) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني - زهر الآداب وثمر الألباب - تحقيق وشرح علي محمد البجاوي - (القاهرة ١٩٥٣م) - مج ١ ، ص ٢٨٨ .

٣٧) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد - الكامل في اللغة والأدب - تحقيق أحمد محمد شاكر - (القاهرة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، الجزء ٣، ص ١٢٥٨ - ١٢٥٩ .

٣٨) علي بن الجهم - ديوانه، ص ٦١ - ٦٢

٣٩) ياقوت الحموي - معجم الأدباء المسمى بإرشاد الأريب - نشره د. فريد رفاعي - (القاهرة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م) - مج ٣، ص ٦-٧ .

٤٠) ابن الأثير - الكامل في التاريخ - مج ٧، ص ١٦٨ .

٤١) المسعودي، مروج الذهب، مج ٤، س ١٦٩

٤٢) المصدر نفسه، مج ٤، ص ١٦٤ . «أم عامر : كنية الضبع» .

٤٣) أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري - ديوان البحتري - تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف (القاهرة ١٩٧٣م) مج ٣، ص ٢٠١٩ - ٢٠٢٢ . العمامة والقضيب : شعار خلفاء بني العباس .

٤٤) المسعودي - مروج الذهب - مج ٤، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

٤٥) المصدر نفسه، مج ٤، ص ١٧٩ .

٤٦) أحمد بن محمد المقري التلمساني - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - تحقيق إحسان عباس - (بيروت ١٩٦٨م)، مج ٧، ص ١٠١ .

٤٧) عبد الرحمن البرقوقي - شرح ديوان المتنبي - (القاهرة ١٩٣٠م) - مج ١، ص ١٧٨ .

٤٨) المصدر السابق، مج ٤، ص ١٧٩ . «ويقصد بقوله ترعى بعبد : عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يؤمرون على الناس» .

٤٩) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - (القاهرة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م) - مج ٤، ص ١٦٧ .

٥٠) أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ (طبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) ـ مج ٦ ، ص ٣١٩ .

٥١) البحتري ـ ديوانه ـ مج ١ ، ص ١٩٢ ـ ١٩٤ . قومي: قوم الشاعر وهم العرب، وقومك: قوم الفتح وهم الترك .

٥٢) المصدر السابق، مج ٢ ، ص ١٢٤٠ .

٥٢) المصدر نفسه، مج٢ ، ص ٨٤٥ .

٥٤) المصدر نفسه، مج ٣ ، ص ١٧٢٦ ـ ١٧٢٧ . شيخهم: المقصود به (وصيف) .

٥٥) المصدر نفسه، مج ٣ ، ص ١٤٨٢ . المقاومُ: جمع المقام.

٥٦) المصدر نفسه، مج ١ ، ص ٤٦٦ .

٥٧) المصدر نفسه، مج ٢ ، ص ٦٧٨ .

٥٨) المصدر نفسه، مج ٢ ، ص ٩٧٦ ـ ٩٧٧ .

٥٩) المصدر نفسه، مج ٤ ، ص ٢٢٦١ . ذُو رُعين: ملك من ملوك حمير .

٦٠) أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حَيّوس ـ ديوان ابن حَيّوس ـ تحقيق خليل مردم بك، (دمشق ١٩٥١م) ـ مج ١ ، ص ٨١ .

٦١) المصدر السابق، مج ٢ ، ص ٣٧٩ .

٦٢) أحمد بن محمد الأرّجاني ـ ديوان الأرّجاني ـ تحقيق د. محمد قاسم مصطفى ـ (بغداد ١٩٧٩م) ـ مج ٢ ، ص ٥٥٨ .

٦٣) أبو عبد الله أحمد بن الخياط ـ ديوان ابن الخياط ـ تحقيق خليل مردم بك ـ (دمشق ١٩٥٨) ـ ص ١٨٧ .

٦٤) هبة الله القاضي السعيد بن سناء الملك ـ ديوان ابن سناء الملك ـ تحقيق محمد إبراهيم نصر ـ (القاهرة ١٩٦٩م) ـ الجزء ٢ ، ص ١ .

٦٥) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ـ تاريخ ابن الفرات ـ تحقيق د .

قسطنطين زريق و د. نجلاء عز الدين ـ (منشورات الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٣٩م) ـ مج ٨، ص ١١٥ .

وانظر: مأمون فريز جرار ـ الغزو المغولي، أحداث وأشعار ـ (عمان ١٩٨٤م) ـ ص ١٣١ ـ ١٣٤ .

٦٦) مأمون فريز جرار ـ الغزو المغولي، أحداث وأشعار ـ (عمان ١٩٨٤م) ـ ص ١٢٧ . نقلاً عن «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ـ للأمير بيبرس ركن الدين المنصوري الدوادار ـ ٩/ ١٦٤ . » .

٦٧) أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ (دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) ـ مج ٧، ص ٨٢ .

٦٨) تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو ـ (القاهرة ١٩٦٤م) ـ مج ١، ص ٣١٢ .

٦٩) أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي ـ دمية القصر وعُصرة أهل العصر ـ تحقيق د. محمد ألتونجي ـ (دمشق ١٩٧١م) ـ مج ١، ص ٤٤٢ .

٧٠) المصدر السابق، مج ١، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ . وهو شاعر من أهل المغرب.

٧١) الجاحظ ـ مناقب الترك ـ ص ١٢ ـ ١٤ .

٧٢) الجاحظ، مناقب الترك ـ ص ٧٥

٧٣) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ـ العقد الفريد ـ تحقيق أحمد أمين، إبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون ـ (القاهرة ١٩٤٩م) ـ مج ٦، ص ١٣٥ . «ومذحج من يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان من قحطان» .

٧٤) الجاحظ، مناقب الترك، ص ٧٥ .

٧٥) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

٧٦) ابن قتيبة ـ كتاب المعارف، ص ٢٦ .

٧٧) أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي ـ ديوان الأبيوردي ـ تحقيق د. عمر الأسعد ـ (دمشق ١٩٧٤م) ـ مج ١، ص ٦٣٣ .

٧٨) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ۔ ديوان الزمخشري ۔ مخطوط بمكتبة السليمانية باستانبول ۔ رقم ٣٣٠ .

٧٩) مسلم بن الوليد صريع الغواني ۔ شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد ۔ تحقيق د . سامي الدهان ۔ (القاهرة ١٩٥٨م)، ص ٣٣١ .

٨٠) السَّرِيّ الرَّفَّاء الكندي ۔ ديوان السري الرفاء ۔ تحقيق ودراسة د . حبيب حسين الحسيني ۔ (بغداد ١٩٨١م) ۔ مج ٢ ، ص ٢٤٨ . مُبيرُها : مُهْلكُها .

٨١) الثعالبي ۔ يتيمة الدهر ۔ مج ٣ ، ص ٣٠٢ .

٨٢) ابن حَيّوس ۔ ديوانه ۔ مج ٢ ، ص ٥٧٣ .

٨٣) المصدر السابق، مج ١ ، ص٥٢ .

٧٤) عماد الدين الكاتب الأصفهاني ۔ خريدة القصر و جريدة العصر ۔ قسم شعراء العراق ۔ تحقيق محمد بهجة الأثري ۔ (بغداد ١٩٧٣م) ۔ الجزء الرابع ۔ مج ١ ، ص ١٣٨ ۔ ١٣٩ .

٧٥) المصدر السابق، مج ١ ، ص ١٤٢ . «الهادي : العنق، أرواد : الرفق .»

٨٦) للتوسع في هذا الموضوع انظر : مأمون فريز جرار ۔ أصداء الغزو المغولي في السعر العربي ۔ عمان ١٩٨٣م .

٨٧) جمال الدين علي بن المقرب العيوني ۔ ديوان ابن المقرب ۔ تحقيق وشرح عبد الفتاح الحلو ۔ (القاهرة ١٩٦٣م)، ص ٥١٧ ۔ ٥١٨ .

٨٨) مأمون جرار ۔ الغزو المغولي أحداث وأشعار ۔ ص ٢٧ نقلاً عن مخطوطة «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة للأمير بيبرس ركن الدين المنصوري الدوادار، مج ٩ ، ص ٣٧ ۔ ٣٨ .

٨٩) محمد بن شاكر الكتبي ۔ فوات الوفيات ۔ تحقيق د . إحسان عباس ۔ (بيروت ١٩٧٤م) ۔ مج ٤ ، ص ٣٠٤ .

٩٠) أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ۔ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ۔ (القاهرة ١٣٥١هـ) مج ٥ ، ص ٢٧٢ .

٩١) علي بن الجهم ۔ ديوانه ۔ ص ١١٦ .

٩٢) أبو الحسن علي بن العباس بن جريج بن الرومي ديوان ابن الرومي ۔ تحقيق د .

حسين نصار ـ (القاهرة ١٩٧٦ ـ ١٩٨١م) ـ مج ٣ ص ٩٧٩ ـ ٩٨٠ .

٩٣) المصدر السابق، مج ٦ ، ص ٢٤٢٠ .

٩٤) أبو منصور عبد الملك الثعالبي ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ (القاهرة ١٩٦٥م)، ص ٢٧٥ ، ص ٥٣٤ ، ص ٦٢٧ .

٩٥) أبو العلاء أحمد بن محمد المعري ـ شروح سقط الزند ـ (دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤٥م) السفر الثاني ـ القسم الأول، ص ٣٤٨

٩٦) الأبيوردي ـ ديوانه ـ ص ٣٧٦ .

٩٧) علم الدين أيدمر المحيوي ـ مختار ديوان علم الدين أيدمر المحيوي ـ (دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٣١م)، ص ٩ . «خفّان: أجمة كثيرة الأسود بالكوفة . ثُعَل: قبيلة عربية مشهورة بإصابة الرمى» .

٩٨) ابن حيوس ـ ديوانه ـ مج ١ ، ص ٢٦٨ .

٩٩) العماد الأصفهاني ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ قسم شعراء مصر ـ تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس ـ (القاهرة ١٩٥٢م) ـ مج ٢ ، ص ١٤٠ .

١٠٠) الباخرزي ـ دمية القصر ـ تحقيق د. محمد ألتونجي ـ مج ٢ ، ص ١٠٢٥ .

١٠١) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ـ تاريخ ابن الفرات ـ مج ٨ ، ص ١١٦ .

١٠٢) محمد بن شاكر الكتبي ـ فوات الوفيات ـ مج ١ ، ص ٤١٥ .

١٠٣) الأبيوردي ـ ديوانه ـ ص ٦٣٣ .

١٠٤) العماد الأصفهاني ـ خريدة القصر ـ قسم شعراء الشام ـ تحقيق د. شكري فيصل ـ (دمشق ١٩٥٥م) ـ مج ١ ، ص ٩ ، ص ٦٨٢ .

١٠٥) ابن سبط التعاويذي ـ ديوان ابن سبط التعاويذي ـ نشر د. س. مرجليوث ـ (مصر ١٩٠٣م) ـ ص ١٦٥ .

١٠٦) ابن النبيه المصري ـ ديوان ابن النبيه المصري ـ تحقيق عمر محمد الأسعد : (بيروت ١٩٦٩م)ص ٤٤٢ .

١٠٧) فتيان الشاغوري ـ ديوان فتيان الشاغوري ـ تحقيق أحمد الجندي ـ (دمشق ١٩٧٦م)، ص ٢٢٤ .

١٠٨) ابن هانىء الأندلسي ـ ديوان ابن هانىء الأندلسي ـ (بيروت ١٩٦٤م) ـ ص ٢٠٩ .

١٠٩) أبو العلاء المعري ـ شروح سقط الزند ـ ص ١٠٧٨ .

١١٠) ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء ـ مج ١٣ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

١١١) ابن شاكر الكتبي فوات الوفيات ـ مج ٢ ، ص ٢٢١ .

١١٢) ابن حيوس ـ ديوانه ـ مج ١ ، ص ٢٤

١١٣) العماد الأصفهاني ـ خريدة القصر ـ قسم شعراء الشام ـ مج ١ ، ص ٩

١١٤) الباخرزي ـ دمية القصر ـ مج ١ ، ص ٢٣٧ . «المَوَامي : جمع مُومَاة وهي الفلاة» .

١١٥) أبو الحسن علي بن محمد العدوي الشمشاطي ـ الأنَوار ومحاسن الأشعار ـ تحقيق السيد محمد يوسف ـ (الكويت ١٩٧٨م) ـ مج ١ ، ص ٣٣١ . «المداك : حجر يسحق عليه الطيب» .

١١٦) المصدر السابق ـ مج ٢ ، ص ٧ . «الشَغَب : تهييج الشر» .

١١٧) العماد الأصفهاني ـ خريدة القصر ـ شعراء الشام ـ مج ٢ ، ص ٢٨٤ .

١١٨) عبد الرحمن البرقوقي ـ شرح ديوان المتنبي ـ مج ١ ، ص ١٧٦ .

١١٩) ابن النبيه المصري ـ ديوانه ـ ص ٤٠٩ .

١٢٠) الزمخشري ـ ديوانه ـ مخطوط ـ الورقة ٩٤ب .

١٢١) زين الدين عمر بن الوردي ـ تتمة المختصر في أخبار البشر ـ إشراف وتحقيق أحمد البدراوي ـ (بيروت ١٩٧٠م) ـ مج ٢ ، ص ٧٠ .

١٢٢) العماد الأصفهاني ـ خريدة القصر ـ شعراء الشام ـ مج ٢ ، ص ٢٨٧ .

١٢٣) ابن شاكر الكتبي ـ فوات الوفيات ـ مج ٢ ، ص ٤٥٣ .

١٢٤) ابن تغري بردى ـ النجوم الزاهرة ، مج ٧ ، ص ٦٠ ـ ٦١ . «الفُرَيق : اسم موضع بتهامة . »

١٢٥) فتيان الشاغوري ـ ديوان ـ ص ٥٨٨ .

١٢٦) ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء ـ مج ١٩ ، ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

١٢٧) الزمخشري ـ ديوانه ـ مخطوط ورقة ٩٤ ب

١٢٨) ابن سناء الملك ـ ديوانه ـ ص ٤٢٥ .

١٢٩) ابن عُنين - ديوان ابن عُنين - تحقيق خليل مردم بك - (دمشق ١٩٤٦م) - ص ٤٠ - ٤١ .

١٣٠) ابن شاكر الكتبي - فوات الوفيات - مج ٣ ، ص ٣٠٦ .

١٣١) فتيان الشاغوري - ديوانه - ص ٤١٥ .

١٣٢) الكتبي - فوات الوفيات - مج ١ ، ص ٣٠٧ .

١٣٣) ابن النبيه المصري - ديوانه - ص ١٧٤ .

١٣٤) الثعالبي - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - ص ٥٥٣ - ٥٥٤ . ينقل عن الجاحظ قوله «ولو كانت هذه الشهوة شائعة في الأعراب لتعشقوا الغلمان ، ولو تعشقوهم لنسبوا بهم ولجاءهم فيه باب من النسيب ، ولتهاجوا به وتفاخروا ، ولتنافسوا في الغلمان . . . و لحدثت فيه أشعار وأخبار . والذي يدل على سلامتهم من ذلك عدم هذه المعاني» .

١٣٥) الثعالبي - يتيمة الدهر - مج ٤ ، ص ٤٢١ .

١٣٦) المصدر السابق ، مج ٢ ، ص ٤٠٧ .

١٣٧) المصدر السابق ، مج ٣ ، ٤١٠ .

١٣٨) المصدر السابق ، مج ٤ ، ص ٨٠ .

١٣٩) المصدر السابق ، مج ٤ ، ص ١٥٨ .

١٤٠) ابن الخياط - ديوان ابن الخياط - ص ٢٢١ .

١٤١) ابن الدهان الموصلي - ديوان ابن الدهان - حققه وأعد تكملته عبدالله الجبوري - (بغداد ١٩٦٨م) - ص ١٤٥ .

١٤٢) ابن عُنين - ديوانه - ص ٣٤ - ٣٥ .

١٤٣) ابن النبيه المصري - ديوانه - ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .

١٤٤) الكتبي - فوات الوفيات - مج ٤ ، ص ٦٦ .

١٤٥) فتيان الشاغوري - ديوانه - ص ٤٠٥ .

١٤٦) المصدر السابق ، ص ٣٩٥ .